

نسخة معالجة
وصفحات فردية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

www.ibtesama.com/vb

منتديات مجلة الإبتسامة

حكاية البيت التي طارت عصافيرها



مجموعة قصصية

www.ibtesama.com/vb

التحويل لصفحات
فردية والمعالجة
فريق العمل بقسم
تحميل كتب مجانية

بقيادة
** معرفتي **

www.ibtesama.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة

شكرا لمن قام بسحب الكتاب

حكاية البيت التي طارت عصافيرها

بشرى ألفاضل

١٩٩٠

الطبعة الأولى

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

**الرسومات الحائطية للرصاصيون
فتح الرحمن باردوس والظاهر بشري
وعبدالواحد وراق ولودميلا ليفيتينا**

**• الجمع التصويري
«مكتبيوتر سودان تايجز»**

الظاهرين ، معامل التصوير المتون السودانية

يا أصدقائي وراء الباب ..
في أي عصر نحن؟

بوريس باسترناك .

إهداء

● إلى زوجتي - سابقاً - وهبية عبد الخالق ، تلك التي ماتت قبل أن نتأقلم على حالة زواجنا. ذهبت فجأة كما تزوجتها فجأة. لكن حزني عليها لم يذهب. وصبراً آل عبد الخالق .

أقول إلى الطير: قل كيف ماتت؟
فيهمس لي: استأذن ابن المقفع .

أعتذر اذ طالعتكم بهذا الاهداء المبالغت الفاجع .

● وإلى والدتي نفيسة عبيد نقد ، تلك المرأة المدبرة الصلدة الصامدة التي ربنا علي العفاف والكفاف بدأب عقب الغياب المبكر لوالدنا. ترعى الآن احفادها .
ومزيذا من الصمود آل نقد .

● وإلى زوجتي - الآن - لودميلا التي تخلت عن عاصمة من القرن العشرين ، سعيًا ورائي في القرون الوسطي ، وعن الخضرة المنبتقة في ديارها ، سعيًا ورائي في الصحراء وعن مكاسب الاشتراكية سعيًا ورائي في بلد المطففين والطفابيع .

● وإلى اصدقائي وصحبي، وليمثلهم هنا عبدالله بولا ذلك الشاعر المفكر الانسان الرسام .

أهدي هذه الماويلات .

بدر النفوس

مقدمات

«هنالك سؤالٌ ظل يلحّ كثيراً: هل من الجائز أن بشري الفاضل قد نظر إلي انطون تشيخوف وافاد منه في خاصيّة التّهمك الذي يصل حد الأسفاف احياناً والسخرية من الذات؟ هناك تشابه، نعم. لكن هنالك اختلاف عند الكاتبين منذ البداية رغم ان أكثر من دليل يشير إلي أن بشري الفاضل قد أفاد من دراسته للادب الروسى والاطلاع علي اعمال تشيخوف والاستجابة للكثير من ايجابياته، ومن ثم خلع ذلك - ولو عابراً - علي فنه القصصى، وخاصة جانب التهمك. الاختلاف ينشأ من أن تشيخوف متفائل رغم حزنه، وشديد الايمان بالوحدة العضوية والروحية للمجتمع، اضافة الي أن العبارة عند تشيخوف هادئة. اي أنه يفرق بالون السخرية لكن لكي يقول لنا بهدوء: هيا جميعاً لننقذ ما يمكن انقاذه.

أفاد بشري الفاضل كثيراً من الاسطورة «الاحجية السودانية». والاسطورة في قصته تأخذ موقعها كجملة مفيدة في جسم العمل الفني، حتي وكأنها لا تنقسم عن العملية الابداعية ككل. وهي تختلف شيئاً عن الاسطورة عند الطيب صالح والتي افادت من حكايات المتصوفة.

الاستاذ / فضيلي جماع.

من كتاب: قراءة في الادب السوداني الحديث.

بشري الفاضل كاتب يدرك مسئولية المبدع تجاه كل قضايا مجتمعه. وهذا النوع من الكتاب - المدركين - كثيراً ما يقع فريسة لأغراءات الحلول السهلة. والمبدع المسؤول مطالب بايجاد تلك المعادلة الصعبة بين الامتاع والافادة. والأسلوب الذي أعتمده بشري لأيجاد صيغة مناسبة لحل تلك المعادلة يذكرني - ولعلي ذكرت ذلك لبشري في مرات سابقة - بما ابتدعه الكتاب الأيرلنديون من تناول كوميدي لاكثر المآسي عنفواناً ومرارة. وقد نجحوا في تلك المزاوجة نجاحاً فريداً حداً بمؤرخي الأدب أن تنسب اليهم ما تواضعوا علي تسميته المنهج «التراجوكوميك» أو «المأسلهوي».

وفي هذه المجموعة التي بين يديك، أيها القارئ، ينهج بشري هذا النهج بنجاح فائق لاسيما في «ذيل هاهينا مخزن احزان» و «الغازات» و «أبشر» و «حملة عبدالقيوم».. بالإضافة الي ذلك فلبشري مفرداته الخاصة المتميزة واستعاراته وتشبيهاته المدهشة: «وجري دمعي لاكما يجري دمع امرأة كاذبة في مأتم مفتعل ولكن كالتماسيح المفترى عليها»؛ «وكننت متلويًا بالبهجة كعمامة اعرابي يزور المدينة للمرة الثانية»؛ «هنا اذاعه ضربة الشمس والسحائي» الخ.

اما رمزيته فهي متميزة أيضاً علي أن الأغراق فيها يفسد نكهة هذا المنهج «المأسلهوي» الذي اعتمده والذي ربما بلغ فيه شأواً بعيداً ان سلك دربه فيه، ونفسه علي سجيته.

د. خالد الكد.

ما الذي يدخل قارئاً وسط الكتاب بالتعليق علي اعمال قصصية؟ ربما مساعي القاص بشري الفاضل لاستكمال حلقة المنطق بين المنتج والمتلقي. السعي نفسه الذي ينتظم الاعمال المنجزة في هذه المجموعة: الارتباط بين العمل وما أفصح به وبين ما سكت عنه، وبين هذا وذاك، وما هو خارجه وما هو أدواته الفنية وأداته العقلية.

ذاك إشتباك الفني بالعقلاني الشعري بالسحري باليومي، لتحقيق المتعة والانحياز والغواية في هذه الاعمال لا تقف عند حد الحفز والحض من خلال الموقف بل تتسلل غواية القراءة الكبرى. وتسرقك الجملة الاولي عبر العمل. وتلهث عبره ويندلق فيك وتستطرق أنيتاكما فتتناصان ذاتاً واحدة. ولكن بالضبط عند نهاية العمل تنتهي جملة لتبدأ معضلة، معضلتك، وحدك بينما يكون الكاتب قد نام قريراً إذ اغواك.

أما الاعمال في هذه المجموعة فسمتها الخيب، فالقارئ والكاتب والبطل والموقف الفني والموقف اليومي والمتعة جميعاً كما متظاهرين تبقر القذائف احشاءهم فتندلق امعاؤهم من جنوبهم فيتلقفونها ويستاتفون الهرولة وتلويح القبضات والرضاء الفاعل.

محمد عبد المنعم

قارئ .

لعزيزي بشري من أحمد البكري.. سلام!

البدايات استهلال رائع لميلاد فذ «حينما خرجت الخيول المسرحية تبحث عن فرسانها، ضحكت البيوت علي ابوابها وعلي عروشها الشجر انكلي» (الطفايع). النثر دوزنة إيقاعية حيث يتكئ علي جداول اللغة المعاصرة ويستنيم «عندي مثلك احبها وتحبني ويحب ناقتها بعيري.. خرجت في ذات يوم من لدنها مليئاً بها حتي غارلني الناس في الشوارع» (البنت التي طارت عصافيرها). الوصف تطويع للغة العصرية، وخروج عنها، وعودة اليها علي ذري خيال متسامق «أطلت جمجمة من الكوة المتاحة»، كانت جمجمة مثقوبة من الجبهة في نفس موضع هلال العرس. مثل شوكة سمك البلطي انسلت الجمجمة من القبر» (حملة عبد القيوم الانتقامية)، «نجمة الكلاب المضيئة نفضت عينيها فتطاير منها شعاع اصفر، غمرني فرح مفاجئ». وصرت شديداً جداً أبكي» «ذيل هاهينا». والوصف يمنح المؤلف بطاقة إبداع «وأخرجت ادوات انتظاري. أخرجت اولاً كوعي ثم راحة يدي، ومن بعد أخرجت عيني ثم طفقت أنظر. أنظر. في الاتجاهات جميعها وأخترن» (البنت التي طارت عصافيرها). الموضوع كل الأشياء: الناس والكلبة هاهينا «خرجت الكلبة هاهينا تبحث عن صديقها الكلب هواهي، منذ اكثر من سنة وهما في حالة حب» «ذيل هاهينا» والنمل «عشقت صبية النمل نايلة نمول الفتى» (نملية العشق) والكرسي «فلقد كان ذلك الكرسي الذي تناثر في ذلك اليوم مناهضا للاستعمار» (كرسي). السرد ابتكار متأمل للخروج علي القالب المؤلف «ثم حرك ذيله ففهمته وتبعته فرحة راضية، حين فرغنا كان الوقت مساء» (ذيل هاهينا)..

عزيري بشري، عبثاً أحاول تلمس موجتك الخصوصية، وتطويعك للغة يذكرني بهذا: «بعد البعيد بعيد كلما ابتعدا.. صار البعيد قريباً من خيوطيدي» «محمود درويش» ولكني عبثاً أحاول: «تحس بحرف الهاء يطن في اذنك مليئاً بالشحم» (البنت التي طارت عصافيرها). أحاول: «وأنا في حالة تعب جهير الصوت» (بقرة في زمن الثوب البهيج) غير ان

موجتك الخصوصية تعقني وسط السخرية العيئية الحادة «فلم اسمع صوت ارجلها بيد ان وقع حوافري كان مستموعا للجميع» (البنت التي طارت عصافيرها). تعقني موجتك وانت تصف النخلف بصوت مسموع يقع علي الاذن في هيئة الارتطام «وهطلت العيون في افخاذ ووجهي وعيون وجسدي البنيتين وغمرت هما العيون التي تشبه المناشير الزجاجية، الجميع عيونهم كالملاحات الفارغة» (البنت التي طارت عصافيرها). لعلي اتشبت بخيط ما هنا: «صمت وأدخل يديه في تلافيف جلبابه وغافل تاريخه الشخصي الشائك» (بقرة في زمن الثوب البهيج) أو هنا: «مثل بعير غاضب يده في السماء ورجله اليسري في عذاب واليمني في البقعة. صاحت الفتيات الخجالات.. أشقر» (أبشر مقاطع قصصية) أين تخفي موجتك الخصوصية يا بشري؟ عسير أن اتحسسها وأنا اقرأ عدة مشاعر حيال قصة واحدة. أخص بالذكر منها مشاعر الدهشة وما يثير كامل الضحك والتأمل وأنا أقرأ (الغازات)، انفلتت مني الضحك: «... رغم انف التحذيرات المكتوبة، ممنوع البصق» بالخط العريض، قرأها شبه أُمي وسط ذلك الجمع «ممنوع البصل» وقرأها أُمي تام الامية «ممنوع البص»، وخرج لتوه كأنه نسي الحرف الاخير. بمنزلهم». تتملكني الدهشة: تحول الناس في الحافلة الي غازات «فكيف لحوت.. يونس هذا يعجننا كما عن له». «لا يستحيل قال عبد المنعم ثم اشعل غازه الذي كانه، نارا واشتعل في الهواء وتلاشي». ثم اتأمل ملياً: «انتظرت السودان وفي يدي زهور برية قرب محطة مترو» (الغازات) تتعدد محاور الخصوصية. ها أنتذا قد اضمرت في اللهجة العامية حريقاً من ايقاع فنبضت وازدانت وزهت «وكان سكره معلن عنه بالحنجرة التي ترغي وبالمثلج الداخلي المتقطع «أسع هق، الناس دي هق متزاحمة فوق كم؟» (الغازات) وها انتذا تفك إيسار العشق الابدي عن قبيلة العشاق ليضمخها عير الازمنة، فتنشأ بين العاشقين المدمنين احتمالات عشق جديد مده بلا ساحل: «هو روميو وهي تاجوج. ربط قيس يده الحبلية في دلو عبله وخرجا نحو قصر الملكة. اجابت الصبية ليلي: اموت فيك يا المهلب» (نملية العشق).

وها انتذا تدورن كبوة العشاق الحتمية «وهكذا ظلا يتناوبان الورديات وعدم اللقيا حتي قضي نحبهما موجتك الخصوصية تعقني وينتهي بي الحال درويشاً في محراب جدك البصير النابه العبيد ودنقد «لم يمت جدي بفعل الدومات ولم يكتشف قانون الجاذبية» (نيوتن مقاطع قصصية). فأتشبت بهاء السكت وكأني بك تصف حالي عند خاتمة المطاف «صاح كمعكوس ارشميدس لم اجدها لم اجدها» (هاء السكت).

د. أحمد البكري.

كلية العلوم - جامعة الخرطوم .

عزيزي حقا بشري:

أول شيء اعتذر عن التأخير. أنت اليوم في عهد فتوة الألهام وأنا، أم نحن؟، في زمان الكهولة ونتصيد الايام العذبة واراها تتناقص وتولي: لات هنا ذكرى بلهنية العيش! كنت لعهد فتوة الالهام، اصنع من كل شيء قصة، بعضها لم انشره ومنها مالم اكتبه اصلا، ولكني كنت معجبا بما اصنع، المهم تأتي الموضوعات الي من كل شيء اسمعه وكل أمر ابصر به وهيئات.

تعرف، زمان اكلة فول يكون بالسمن عند مصطفى صبير، يكون بزيت السمسم عند

عشماوى: مصدر الهام، شكلة بالعكاكيز او حتى بالالفاظ البذيئة فى دار الرياضة: بعض الهام. عبور النيل الابيض فى الترمای: الهام. يوم القيد واياه. واياه واغنية لعبد العزيز داؤد.. شىء آخر: منذ عدت من رحلتى. الطويلة شيئاً، خارج البلاد وانا اتمس طريقى، كانى لا اعرف هذه المدينة، كنت حين رحلت عنها صباح يوم جمعة ما، اراها مائتال متماسكة الزبالة والأجر والاسمنت، ولكنها بلغة ما، يشوبها الحذر. لعلها قد بدأت تعى ان كبار آمالها تتبخر، ولا شمس. اسمع عنى: بدا الذين يهيمنون على امورها بسرقة الكحل من عينيها، وهذه كما قد علمت، ابعد غايات السرقة. ثم اخبرنى تلفزيون الغربية، بعيد الاماد، ان بيوت العشوائيين، والعشوائيين جميعاً قد غمرتهم وغمرتها المياه. ولم يسلم بفعل الماء ام هو الطوفان؟ من شىء. وكان ولاية الامور فى نعيمهم ينعمون وينعمون، وسد علينا الناموس الخيران والجداول. اننى اتمس طريقى. وكانى لا اعرف المدينة. مثل (عبد القيوم) اطفى غضبى فى النيل.

بعد حين يلتف حولى عبد القيوم. اريد حملة انتقامية لمصلحتى الشخصية. ولكن ماذا تفعل جمجمة؟ جمجمة لا غير، لا قوة، لا بلدوزر، ولا يحزنون. اكتفى بالانتقام الداخلى وحده. أفى ذلك مايكفى؟.. دخلت الى مكتبى، وقتها، بدار النشر، قصة (الغازات) لبشرى الفاضل، كانت دار النشر واحدة من محطات عمل الكثيرات، حين افكر الان فى اى الناس قد قابلت وعملنا واى المكاتب، استغرب، اتقافز من موقع الى موقع، ولا اعلم اين هى المحطة القادمة، ربما تكون مراقب اسواق او كمسارى فرملة، او متعهد بوفيه. المهم جاءت الغازات الى مكتبى لا اعلم من احضرها، ولكنها جاءت على كل على حال، كان بشرى ساعته يدرس فى الاتحاد السوفيتى، بعيداً مكانه مقامه، كان. جعلت اطالع القصة حبة، حبة. فتح فى بناء القصص وجديد، كان عصر نشر الغازات فى (الصحافة) عصراً حديدياً، انيا به فولاذ، وكنت مصرّاً على نشرها فى الملحق الثقافى بالصحافة، او أموتن دونها، وعندى تجربة مريرة وقتها، فقد كنت مشرفاً على ذلك الملحق قبلها بسنوات، وما اعجبتهم ذات يوم، فقالوا: (اصقعوه) فرفتونى، واعطونى حسابى، وظهرت الغازات فى الناس، واعجبوا بركاب البص، فقد كانوا يتمثلون انفسهم. وواحد فى الالف من الغازات من انشائى اضفت لها آخر جملة هى «العطبراوى يعطبر»!

ثم جاءتنى (الطفابيع) فى مكتبى، قلت فى نفسى، ولم أخبر احداً غير نفسى، (هذا الولد مجنون)، جاء بشرى فى اجازة نظرت فى عينيه فلقيت فيهما بريقاً شبه مطلقاً الاوار، يتقد حين يتكلم، ثم يضعف ان الصمت، ولكنه بريق، ولا ريب. فى هيئته قد نظرت فاذا هو طويل، بشرى - وفيه نحول الطلاب، وعيش الداخلات، والعبث الطفولى العذب، الان امتلاً جسده، ليس بسبب انه نال راحة النفس، ولا لان قلبه

الحار قد برد، بضعة كيلوغرامات من الهم الذى نتفاوت فى اخذ نصيبنا منه. كل بمقدار. قرأت الطفابيع تجاوزت مرحلة الدهشة ان سفهني اسمها كانه يقول لى (هكذا يجب ان تكتب القصة) فهمت، وما قدرت حتى لحظتى هذه ان اتفهّم الدرس. قرا بشرى زماناً بعدها قصتي (كلب من صبار)، عنده ابتسامه بطعم قراصة التمر، لاتضر القلب ولا المعدة، رغم انف الاطباء، قال: (يا استاذ اسم نبوية وعبد الحق ليست باسماء سودانية، غيرتها على طول، المهم كانت الطفابيع مخطوطة بخط نسيق، وهى قصة بديعة ذات خلق قويم، هذا البشرى جم التواضع، تصور بعد ان سافر بشرى الى حيث يتلقى العلم، ضاعت الطفابيع من مكتبي، كانت فيما قد علمت من بعد، نسخته الوحيدة. خفت خوفا شديدا. لعنت الذين لاحقوني. يطردوننى من مقام الى مقام آخر حسبما يشتهون. اخذت كل عفشى ورحلت الى غير مقام. ضاعت الطفابيع، جعلت اتصور مايمكن ان يقوله الناس. صدّق بشرى كلامى. ابتسامته قراصة التمر، لاتضر القلب ولا المعدة، على كل جسده. تخيلت من الحاقدين جيوشهم تقول (على المك لايريد لبشرى ان ينتشر فى الناس اذكركم كان حقد (سالييرى) على (موتسارت) عظيماً.. سالييرى كان مؤلفاً موسيقياً جيداً، ولكنه لم يكن عبقرياً، ولذا فقد لعن الزمان الذى جعله يعيش فى عصر موتسارت، وحين خسر سالييرى حربه الضروس قال كلمة الحق واعترف بالعبقرى. ولست كمثّل سالييرى، ولكن بشرى يملك ذلك النأى السحرى. والان عادت الطفابيع من جديد، ولا نامت للحقد اعين. ويابشرى:

ما اجمل القول: «كانت هنالك بلحة وجدت نفسها ضمن أخريات فى سبيطة بهامة نخلة. كانت البلحاية اجمل صويحباتها، منسقة وهى تعرف، ولونها زاه وهى تعرف وطعمها حلو».

كل قصص المجموعة بلحات حلوات ونضيرات.

اعتب عليك انك تكن لى إحتراما، جله مما لا استحق، وحبا اعرفه، ولكى ترتاح ويصفو قلبك على صفائه الكثير يسعدنى ان تعلم انه ليس حبا طرفه واحد: انى اودك اشد ود، اتشرف أن تكون هذه الكلمات جزءاً من هذا السفر الخالد.. دمت

البروفيسور على المك

٥ فبراير ١٩٨٩م

حملة عبدالقيوم الانتقامية

قف! هذه نوافير من السائل الاحمر ترشح من المداخل والمخارج، واخري تنز من البطن المبقورة، هل هصرت الطماطم يوما في عيني جارك في مطعم عام حتى سال اكسير حياتها؟ ذلك حال جسد عبدالقيوم (ساعتشؤم) رمت به راجلا في طريق عام وهو الراكب شبابه كله. يصرخ المرء - يقولون - ثلاثا ولكن عبدالقيوم يصرخ بلا حصر: في المظاهرات والعراك والسكر وصرخة اخيرة حين دهسته العربية الزيتية ذلك المساء.

كانت امه وهو طفل، ترسله للسوق صباحا - صباحا فيعود محملا بالزيت والسكر واماني السفر للبعيد المجهول. صوت العربات موسيقاه البدائية الابتدائية: رن رن ترن ترن - رن.. يدنو من الواحدة منها ويتغزل كما لم يفعل ابن ابي ربيعة في النساء.

عبدالقيوم لا يعجبه القمح الذي يعجب اولاد حاج التوم ولا زراعة الفاصوليا التي تعجب اولاد زكية. ولا السباحة التي يغرم بها خليفه ودحسب الله، ولكن عربية ذات سفرة جذبته اليها فاذعن.. اقترب من سائقها واتفق معه علي السفر الجاني علي ان يقوم برمي (الصاجات) كلما غرقت العربية وتجان الرمل بحرا.

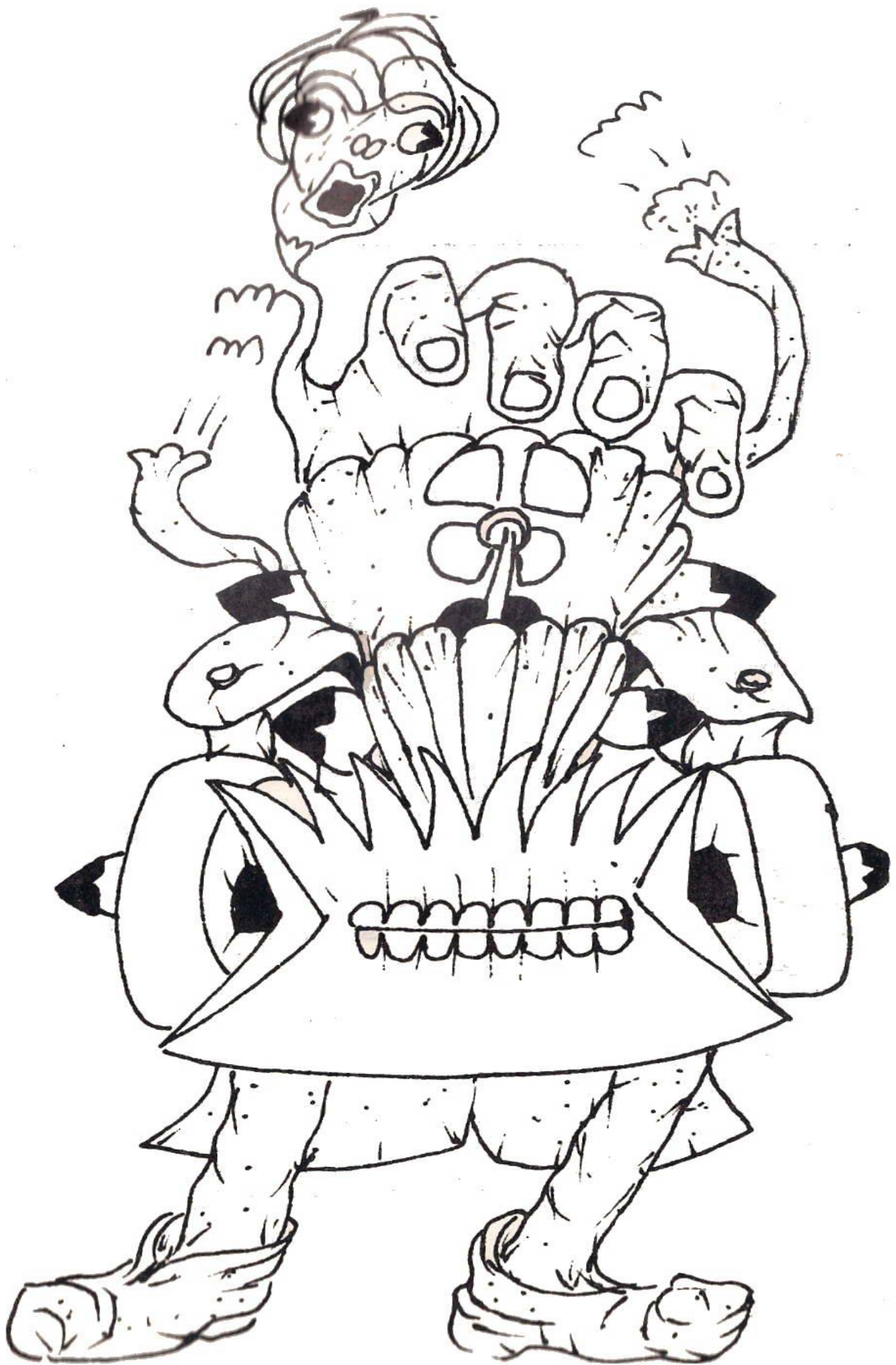
- كيف يا ولدي تشتغل في الحديد ما فيهو امان يا ولدي الله يهديك.

- يابا ان داير صالحى باركا. الناس كلهم شغالين الحصل ليهم شنو؟

وكان ما كان فهذا زمن تناقض فيه السلطات الابوية المطلقة. ودعه ابوه بصوت كانه خارج من بئر. وودعته امه بصحن زاد وصحن دموع. ورجعا لمنزل قلت فثرانه. شهر وآخر وعبدالقيوم يروح ويجيىء مثل ثور ساقية كوني. يتم دورته في ثلاث ايام بدلا عن ثلاث دقائق ولكن الدموع والدعوات وصحن الزاد لا تنقطع.

وفي احدي اوباته اخطر والديه بانه تعلم وان هذه المرة ستكون الاخيرة في رحلات الذهاب والاياب الاسبوعية وان العمل في الخرطوم راقد علي قفاه وهكذا كانت مشيئته لارد غير غزير الدموع ومطر الدعوات الحزينة..

لم يمض شهر حتي ارسل عبدالقيوم ثلاثة جنهات ولم يمض شهران حتي ارسل جنهين ونصف وهكذا ظل ما يرسله يتناقص عكسيا مع تأقلمه الجديد في المدينة ولهوها. ومع هذا فان الدعوات المنكسرة من والديه لم تنقص واحدة. ثم كان ما كان من امر العربية الزيتية - الناس تجمهرت حول الجثة وتوقف القاتل مرتبكا فكان يبذو خلف الزجاج كدمية مريض في متجر. الناس صاحت فيه وبصقت فيه. ولكنه كان يرتجف - وهكذا اخرج سخط الناس من بين اسنانه المصطكة خوفا..



قال يوسف صديقي: جاءت زوج عبد القيوم تولول:-

الليلة يا عدلي خلّيت نائلة وسعد للخلا.. يا ضوى وركيزة بيتي ووى وي.. قال بخيت
جاء البوليس وستروا الجسد المكوم وقاسوا واستعجلوا وامروا سائق العربية بالتوجه
الى المركز.

الناس قالوا - قال بخيت - ما بحاكموه اسع يطلع برى.. تخرج الجنازات في المدينة
كاي واجب وكاي واجب دفنوا عبد القيوم.

حين كان يافعا كان متخصصا في صناعة المراكب الصغيرة لاصحابه بالمجان ولابناء
القرية بخمسة قروش، مركب يقضي في صناعتها نهاره كله - غيره كان يعبر النيل من الجلدة
للجلدة او في فك طلاس الحروف ولكن عبد القيوم مغرم من بين المعادن بالحديد.. في الخلوة
كان الشيخ يرسله ليسقي الحمير او ليقسلق النخيل ليحضر له رطباً او ليسرج راحلة
ضيف. وهكذا كانت نار القرآن - بردا وسلاما علي ابراهيم واولاد حسب الله وغيرهم وحامية
علي عبد القيوم. كان عبد القيوم مظلوما ظلم كلب اهل الكهف في نوم لا صالح له فيه وانتهت
حياته في الخلوة والدرس بصرخة اثر سوط حام. وعبد القيوم يصرخ بلا حصر.

ساعد اباه كاجير مرادف في ارض لا يملكها واحيين اخري لطخ بيوت الناس بالزباله
وبدلا من ان يعاقب كان يمنح اجرا لقاء التلطيح... ولكنه اجر لا يتمكن من صره في طرف
ثوبه.

وهو كبير ترسله امه الى السوق. الناس في سنه تموت في سود العيون وهو يموت في
عينى عربية..

البدفورديا عبد. الله كريم. الله كريم. يرددونها مختلفة الايقاع والزمن بلهجة من كتب
عليه الفقر واذعن..

وصله مرة طرد بلح من امه، ففرح به فرحة عابر سبيل عفا عنه كلب عقور. فتح الطرد
وشمه. وتمسح به فبكي ودعاه حنينه للعودة. فكانت في حياته سكينه، امرأة لا تحمل
اسمها. وهي في فرجة عرسها عفرت عليه حياته، طموحها لانهاثي ولا يحوشها حوش كانت
تتجمل وتشاكسه وتحبه حبا من نوع غريب وجلسر. حداثه (شهرزاد) جاراتها بلا منازع
يقطعن بالقصر تلفزيوناتهن ويتسربن اليها فتحكي فيظهر القصر. وتحكي فتضحك
الحيوانات الاليفة والنباتات المتسلقة. وتحكي حتي لا يتبقى للواحدة من جاراتها مصران
فيرجعن عند طرقات عبد القيوم المألوفة المتعبة علي الباب. تفتح سكينه وتكون له الليل
بهقيته.. حتي انيلت واحسنت ولكن حسن مات في مهده. فاسعدت، وفي الطريق قادم..

كان هنالك بلدوزر، فرغ به سائقه من يوم عمل شاق. وقفل به راجعا الي حظيرة الشركة
داس السائق فتاوه البلدوزر من القعب وان داس السائق مرة اخري فرشع البلدوزر
البنترول كله كما يقفيا مضمور.. رجع السائق الي الورا فمشي مرة اخري الي الامام فابى
.. غضب السائق ورجع بسرعة فائقة الي الورا فاقترب من المقابر وهتك قبراً. نزل السائق
خائفا وترك الماكينة الصماء.. مكانها واختفي كانت الصراصير تغلّوب الضفادع الحراسه
الموسيقية للموتى.. وكانت بالقبر المهتوك حركة..

اطلت جمجمة من الكوة المتحاة تلتفت يمنة ويسرة واعادت راسها الي القبر في هدوء.
ومرة اخري اطلب الجمجمة لم تر اللص الذي يخبىء وارده في قبر مجاور ولم تشم رائحة
الفجر ولم تسمع صوت الاذان المصري اللكنة.. ولم! كانت جمجمة منقوبة في الجبهة
بنفس موضع هلال العرس.

مثل شوكة سمك البلطي انسلت الجمجمة من القبر، متبوعة بالهيكل العظمي المتبقى من كائن ما اسمه عبد القيوم. احدث الهيكل جلبة لا قبل للحذر بتفاديها ومشي طاح تراخ طاح نحو البلدوزر، ولكن كل ذلك مر بسلام.

ومن الغضب كان تل عبد القيوم يزعتر، حين امتطى ظهر البلدوزر الضخم. كانت الكوة في موضع الهلال من رأسه تعوى واووا وا حيث يتداخل الهواء الفاسد والغضب في لجتها قالت الجن سر ايها البلدوزر قال الضوء اسرع ايها البلدوزر قال عبد القيوم - هيت لها ايتها الشوارع وا... ووووا.. وا! وتحركت الالة العجيبة من اول اشارة من قيوم القائم قبل القيامة.

كانت الحركة ذلك الصباح مكدسة العربات مكتظتها. عربات صقراء وحمراء وخضراء، ولا عربات وعربات لا سوداء.. دهش عبد القيوم وهو السائق القدير ان رأي الجميع يسرون يمين الشارع. دهش رجل الحركة ان البلدوزر يقوده هيكل عظمي فضليع لات حين مهرب. هذا هو الثور وانتم المستودع الشهير..

اشتعل عبد القيوم غضبا. لا احد يخبرهم بالتغيرات التي تحدث في هذا الكون.. وا.. ووا.. وا وطفق يدهس في البطاطس البشرية داخل العربات المكتظة بعضهم تردد ممن كان في اخر الصف في ان يتركوا مارسيدساتهم هكذا. فكان موتهم مسببا بالتردد.

هرس.. دهس.. يوم كامل وعبد القيوم يدهس. وهذا البلدوزر العجيب لا توقفه المتاريس، ولا طلاقات البندقيات ولا الدبابات ولم ينضب بتروله. وكان عبد القيوم محنطا لا يسرى الرصاص في جسده. الماسى ذى الغضب المفتوح. ذلك الغضب الذي لا يقنى ولا يخلق من عدم.

جليلة مدت رأسها فوق الحائط الذي يفصل بينها وبين الشارع فرمت طفلها وتخلت عن امومتها فجأة وصرخت:-

بسم الله الليلة ياشيخى تلحقنا وتنجدنا.. مولانا حبيب الله من فوق مئذنة الجامع في الظهر ابصر المشهد فصرخ من خلال المايكروفون - اشهد الا اله الا الله.. يامسلمين توبوا الي الله المسيح الدجال ظهر.. واخذ ذو نظارة متخشبة يسير لصق زميله مراقبا وكه ولزميله اعين كخرز الدجاج - الذي يدعى اعينا - تضيء وتنطفئ قال:-

دا دونكيشوت خلى بالك بناطح ساكت..

كان تل عبد القيوم يزعتر - اولاد الكلب تقتلونى؟

وهو انا شفت حاجة في الدنيا؟ انتظروا. وقرر عبد القيوم ان يرتاح قليلا فزاد من سرعة مركبته فانطلقت بسرعة فلكية واتجه شرقا وانعطف بعد ان كتس كل البيوت والعمارات التي قابلته واطفا غضبه في النيل..

كان النيل رحبا.. وكان يقبل الجميع ويطيّب خاطرهم. اتجه البلدوزر وتابعه الي العمق وهناك اقتربت سمكة بلا زعانف وفيما بعد حكّت لصويحيباتها عن جمجمة منقوبة تقول بغ - بغ - بغ وكيف انها حين ولجت بداخلها لم تجد لحما ينبت لها زعانفها ضحكت صويحيباتها وسبحن معها حول وتحت. وفوق وعلي وفي البلدوزر وصاحبه عسي ولعل - ولكن فقايع من الغضب كانت وحدها تخرج من بين الجسمين المتحمين معا بالفة شديدة.

ذيل هاهينا مخزن أحزان

خرجت الكلبة هاهينا تبحث عن صديقها الكلب هواهى. فمنذ أكثر من سنة وهما في حالة حب ولكنهما حزينان تماما، حيث ان الامور لاتسير كما ينبغي، إيجار الازقة الضيقة أصبح عشر قضمات من قبل عصابات الكلاب المقيمة فيها، بعد ان كان من قبل قزمة واحدة. وليس هنالك مفر من الازقة الضيقة، لان الشوارع الرئيسية تعج بالبشر الفضوليين الذين يقاطعون باستمرار المتع الخاصة بمعشر الكلاب..

هاهينا وهواهى ثنائى متميز وسط الجميع. هى جميلة بشكل لا يوصف عيناها حمراوان، انفها معقوف، وفكها مستدير، وشفتاها بليتان، شديدا اللمعان، القبلة منها تسكر اى كلب. اما هو فمتين البنيان، رمادى اللون، وفي جبينه غرة.. حسن الصوت حين يغنى، كثير الاطلاع، لامع العينين، الحركة من ذيله تسكر اية كلبة.

تعرفت هاهينا على صديقها فى حلقة نقاش لافكار الفيلسوف هوكس. كانت الحلقة غاصة بالكلاب.. كلاب خلاء. واخرى منزلية، كلاب صيد، واخرى بوليسية، كلاب بدينة وكلاب نحيلة. كلاب عمارات وكلاب مساكن شعبية كلاب لا بوليسية ولا كلاب. ومن بين كل هذه اعجبها هواهى لفصاحته وجراته ووسامته.

كانت هاهينا خارج الصورة فى الحلقة، اذ لم تقرأ شيئا للفيلسوف المذكور، بيد انها لم تكن امية. ولعل موانعها تاتى بالدرجة الاولى من مشاغلها الكثيرة.

دحض هواهى تخرصات الجميع فى الحلقة، وحين انفض سامر المجتمعين خرج منتفها، تبعته هاهينا مصدرة صوتا خجولا، ولكنه مع ذلك جاذب للانتباه. نهاية الامر نعارها وبعد شهور تحابا. قال لها هواهى:



- تعرفين ياهاهينا، هوكس العظيم يقول:

(تبا للبشر، لاتنقوا فيهم، عطفهم عليكم دافعه حرصهم على ممتلكاتهم فحسب.)
هوكس هو المكتشف الاول لسرقتل الكلاب. وسالت هاهينا بدورها - قل لي ياهاهينا وهل
اكتشف هوكس اسرار عذابات اصدقائنا في الحياة؟ لئلم هواهيا اطراف وجهه الدقيق الملامح
وبلغ ريقه واجاب:
- نعم... نعم..

له كتاب (سر الاختفاء الفجائي للخراف والبقر والدواجن). وكتاب (عبودية الخيول
والحمر والبغال) وكتاب (القطط الوسيطة) وفيما يخلصنا نحن الف هوكس كتاب (العظام
عبر التاريخ) و (طريق الخلاص) ومقالة (بشرى للكلاب) ومسرحية (اختطاف الكلبات)
ومسرحية (لقمة السيد). وآخر كتبه المطبوعة كان (قصة الكلب البوليسي) ويعكف هذه
الايام في تحليل سايكولوجية كلاب العمارات.. سكنت هاهينا. اعجبها جدا فرط ثقافة
هواهيا. نظرت اليه فاحتقن وجهها بفرح ملون وشغف كقوس قزح.
فيما بعد حكّت هاهينا الوقائع التالية:-

- خرجنا انا وهواهيا نبحث عن العظام في دوائر الطعام الموجودة في اركان الاحياء. نبشنا
ريحا وعدنا (بخفي بوبى).
وفي الطريق صاح هواهيا:

- تعرفين ياهاهينا العظام نادرة هذه الايام. كلاب العمارات اصابتها عدوى اسيادها
فاصبحت تجمعها وتخزنها لتبيعها لنا فيما بعد.
كنت اصغى باهتمام حين مد هواهيا يده وتحسس وجهي فشعرت بلذّة خاطفة. دنا
منى وقبلني فانتشيت، قال لي:- البشر يخجلون وانت جاسرة؟
قلت له: جاسرة، جاسرة خذ قبلة مرة اخرى. فمط فمه حتى سال لعابه وقبلني حتى
غابت السماء بنجومها عن ناظري.
حين عدت لوعبي كان هواهيا يقول:

- تعرفين ياهاهينا كلاب العمارات اصبحت تستورد طعامنا من الخارج، لحم طازج وسمين
وسهل النهش ماركة الفك، علبته بخمسين قزمة. هل ترغبين في فتة من هذا النوع؟ نظرت
في ذيل هواهيا المرح وقلت: (برى يايمة)
ضحك هواهيا وجرى جانبنا ثم قال: الان افخر بك ياهاهينا انت في الصورة تماما يالك
من كلبة رائعة!

ثم اكمل جريته لا كرجل احمق يلحق حافلة تضاهي سرعتنا ولكن كما تجرى الريح
لنخبىء بلدا اصابه المحل بفال المطر. جرى هواهيا وغنى..
هو هو هاهينا

فرددت عليه هو هو هواهيا

ثم حرك ذيله وفكه ففهمته وتبعته فرحة راضية، حين فرغنا كان الوقت مساء، اقترحت
عليه ان نتفرج في التلفاز.. وكان هواهيا يكره الفرجة.. كان يقول: برامج تافهة وفكر ضيق
الافق، ولكنني اجبرته فرضخ لرغبتى. فالانثى هي الاصل.
وفي فترة الاخبار، اطل كلب بارز عظام الفكين كثر الحواجب ونبح حتى كاد ان يهشم
الشاشة البلورية.

- هو هو هو هاو

احبيكم بخير التحايا هاو

ثم أردف :- أن جماهير الكلاب خالية من السعير.
- هذا - وصرح مصدر مسؤول من قبل الأسياذ بان الكلاب لن تقتل بعد اليوم.
في الحق فرحت ونظرت لهواهى فالفيته يقطب جبينه ويغمغم.. في الصباح كنت نائمة
مع هواهى في حفرة حين سمعت الصوت الهائل:
- طاخ

صحوت مذعورة. كان هواهى غارقا في دمائه وقبل ان افتح فمى بالنحيب المرصرخ في
وجهى بحزم:

اهربى ياهاهينا وانج بجلدك. فجعت. لم اكن ساعتها افكر في نفسى. دنوت من هواهى
وقبلته. بدأت عيناه تذبلان. كان تعيسا وحزينا، بهت البريق في عينيه سيما حين القى على
نظرة اخرى وتلاشى كالغريق وهوى تجمعت لدى اذ سمعت طرقة البندقية شجاعة
اكسبتنيها صدمة المناسبة فقفزت السور العالى وجريت كما لم اعرف من قبل كانت الريح
تعوى.

آ آ و وو.. آ آ ووو... كان لسانى ثقيلًا ومع ذلك طفقت انشد:
- آه ايها الكلب الجميل هواهى يا حبيبي ايها اللانسان اللايوليس. الخالى من السعير
قتلوك؟

- هو هو يا هواهى يا هواى.
وجرى دمعى لا كما يجرى دمع امرأة كاذبة في ماتم مفتعل ولكن كدمع التماسيح
المفترى عليها.

هرولت خمسة ايام بلياليها. حتى وصلت غابة هوكس، فاستقبلونى بفرح عظيم
وحكى لهم الحكاية من صوت نفيها حتى ادق حذافيها عزونى وطايبونى وتجمعوا حولى.
في المساء ناولنى احدهم كتاب هوكس (العظام عبر التاريخ) مسحت دموعى وفتحت
الصفحات الاولى لاقرأ:

(جبل الانسان على الفتك، الرجل مخلوق من فتك التماسيح والمرأة من فتك الثعابين.
 انت انسان اذن انت قاتل. انت انسان اذن انت مريق دماء. كان الانسان فيما مضى صديقا
 للقلب. كانا يخرجان سويا لصيد الحيوانات الشريرة، ولكن كان الانسان يغدر بنا حين
 يستأثر باللحم ويترك لنا العظم، ولو كان يدري ان العظم يقوى حاسة الشم ويهبنا القوة
 والجمال، لاخرجنا من المولد بلا حمص. ولو كان يدري ان اللحم يورثه المرض خاصة مرض
 السعير الذى الصقه فينا زورا وبهتانا، لاخرجنا من الحمص بلا مولد.)

وفي الصفحة العاشرة قرأت :-

(اول من اكتشف النار كان كلبا ولكن الانسان يزيف التاريخ، كان جدنا مكتشف
 النار واسمه بوبى، يحفر بيتا قرب كهف لانسان حقير، صادف الجد بوبى اثناء حفره حجرا
 امس فاعمل فيه مخالبه فلم تجد فتيلة. فاعمل فيه مخالبه بسرعة اكبر فتطاير الشرر ثم
 اندلعت النار. رآى الانسان الذى بداخل الكهف المشهد. حمل هراوته الحجرية وطرده بها
 بوبى عاد بوبى لقبيلته بخفيه تحت ابطيه هذا هو اصل المثل عاد بخفى بوبى).
 عجبت غاية العجب ثم قرأت فى صفحة مائة مايلى :-

(اول من ابتدا الضحك كان كلباً واسمه لاف، رآى انساناً يضرب اخاه بفأس، الاول
 يضرب ويضرب، والثانى يجرى ويجرى فيلحق به الاول ويلطمه فضحك لاف حتى برزت
 دواجده ثم ضحك: هو هو.

فتلقفها الانسان وحرقها بحيث اصبحت ها ها ها. ووضع لذلك قانونا اسماء الاعلال
 والابدال قال كلب: هو هو، فصاغ الانسان الضمائر: هو، هي، هما، هن، هم. انفرجت
 اساريرى واصبحت سعيدة اثر قراءتى. افردت صفحة اخري فقرأت :

(الا لا ياكل كلب قوت كلب،

الا لا يقتل كلب كلبا،

الا لا يمنع كلب كلبا من طلب العلم،

الا لا يحرم كلب كلبا من المتعة والفرح)

نوغلت فى البهجة وطال سرحانى، فاغلقت الكتاب، وعلى الغلاف الخلفى قرأت :-

(ستعود مدينة الكلاب، وكما سبحت الكلبة لاىكا فى الفضاء سنعمر نحن هذا الجو.

ولا غناء الا هو

لا ضحك الا هو

لا بهاء الا هو

ولا كلام الا هو

ولا اله الا هو

شعرت بسعادة غامرة عقب هذا الكلام حلو الجرس والديباجة. وادركت انى من قبيل

سام ومنفوق بحق وحقيق.

نصرمت خمس دقائق، وانا على حالى هذى، اتأمل واتأمل الافكار البديعة للسيد

موسى حتى جاءنى جرو شاب بهى الطلعة كث الشعر على طريقة الجيل الجديد. صفرا لحنأ

جديداً على مسامعى ثم نادانى ان اتبعينى فتبعته، خرج بى حيث الامتدادات السكنية

الجديدة وأشار لحفرة مبطنه بالمخمل والاسفنج وقال لى: هذه هى الفيلا المخصصة لحضرتك

ابنها الارملة الجليلة. قال هذا ثم اكمل بقية لحنه وعربد بذيله يمئة ويسرة، تعبيرا عن كونه

ارتاح لاداء واجب جميل كلف به، ثم انصرف.
وبينما هو في منتصف الطريق صاح بى: ايتها الارملة الجليلة ان كنت ترغبين في
العمل بائعة في اكشاك بصل الكلاب زورينى غدا في مكتبى: (شارع لاىكا عمارة ٣٠٠، الطابق
الارضى، الحفرة الخامسة).

تمطيت وتحسست الجروات العزيزات بنات هواهى في بطنى قلت في نفسى، يالهن من
جروات سعيديات اذ سيخرجن بعد ايام وربما بعد ساعات، لا ادرى، للنور في هذا البيت
الجميل، في هذه الغابة الجميلة. ساعلمهن وسينتقمن لابيهن ويثأرن.
هوكس يقول (رفض البشر المساواة وسنرغمهم على قبولها). دخلت في فراشى ولم انم.
ولم في لحظة خاطفة خاطر عن هواهى النبيل وتناهدت لمسامعى اصدااء خافتة لصوت حزين
غامض: اووو - اووو.

ولابد اننى كنت في البرزخ ما بين النوم واليقظة حين قلت:
- غدا سنخرج جميعاً: اجداداً وآباء وبنين وحفدة.. نخرج الجماء الغفير بقضنا
وقضيضنا، صعلوكنا ووقورنا. الكلبة الوالد، والعاقر والعقور من الغابات والخلاء
والجبال والانهار. من ظلال الاشجار، والابار المهجورة، والحقول والادغال والشعب والأكنة
والبطاح. وسنلوث افواهنا الطاهرة بداء السعر من انسان مصاب، وسنهجم على المدينة
ونعمل انيابنا فيها، ونعملها ونعملها، لايحد الوباء مصل او سلاح، سنعض اولا التجار
فموظفى المكاتب، ثم المطربين الهابطين، واصحاب المواصلات والافران، والصحفيين وعمال
الكبانيات والباعة المتجولين والكسالى والمرتشين، والاصدقاء والاعداء، المقامرين
والمغامرين، اصحاب الكروش الضخمة والنحيلين، الراكبين، الراجلين، النائمين، اليقظين،
التافهين، العظماء، الصم، البكم، اليتامى، وابناء السبيل حتى اذا انقضت اربعة ايام
حسوما، ظهرت طلائع السعر على الجيوش اياها، وسيقضم التجار رقاب الزبائن، واصحاب
الافران، والكمائن سيقضمون المرائن، واصحاب المقاهى سيقضمون آذان الرواد. يقضم
الحديد البرآد. ونظار المدارس اصابع التلاميذ. والعشاق شفاء عشيقاتهم. والاطفال حلمات
اثداء امهاتهم. والازواج سيقضمون نهود زوجاتهم بحالها، ولن تروى لهم غليلا.

سيجدع الرجل انفه
وتجدع المرأة لسانها
والطفل خياله
والكلاب اذيالها
يجدع الاسياد عقولهم. والخائفون قلوبهم.

والشجعان حماقاتهم والحاقدون اسنانهم المصطكة. والعطشى يجدعون حبههم للماء.
(يذبح الخروف مسعود ومسعود يذبح الخروف. ويصيح الدود فوق العود: هو هو هو)
تأكل المدينة احياءها العشوائية. وتأكل الكلاب كرش المدينة وتقف المدينة عامودية على
الشح، وتجىء اطراف المجاعة. وفي الصباح يكف الديك عن الصياح ويصرح:

- آ آ وووو

والناس والحرر والبهمة والخيول والليل والبيداء جميعها تصيح:

آ آ وووو

ولا غناء الا هو.

لا كلام الا هو. طفح الكيل وبلغ السيل مواطن الوجع.

فنهدت ولا ادرى كم مكنت على حالى تلك ولكننى صحت بعد ان ظننت اننى ساموت.
كانت بجائى خمس جروات لا ادرى كيف هبطن ومن اين. وكانت على آثار المخاض. غنت
الجروات ..

- هيو هيو ايايا ايايا. فنبست لى نفسى.

- ويح قلبى جائعات.

كانت السماء شديدة الصفاء. نجمة الكلاب المضيئة نفضت عينيها فتطاير منها
شعاع اصفر غمر الكون كله. وشهدت بام عينى العشب ينمو، والنمل يجمع قوته. والطيور
تهدج. وغمرنى فرح فجائى حتى انحدرت دمعة فى عينى اليسرى وماصدتها، ثم فى اليمنى
وماصدتها وصرت شديداً جداً ابكى: ابكى ثم ابكى ملء الفم والحنجرة والذاكرة، فى ذلك
الصباح المشرق.

بقرة في زمن الثوب البهيج

درديري زميلنا انا وطيפור. جئنا في زيارة له بقريته بعد الحاح منه فنحن معا لا نستطيع ان ناكل الكسرة المرة في الوجبات الثلاث، ودرديري يغيظنا معًا وننبهه لملازمة الجزيرة التي تأتي بها حشرات تشبه الضفادع. قال طيפור ينبغي مغالطة القاموس ان اسمها بالناموس.

هنا الدرديري ونحن في بطن حقل الذرة، والريح طين مروي والقرية وراءنا صياح ونفث والمعضلات امامنا فقال:

كان قلبي في طفولتي جامحا. أجنحته رنين الكلمات. وكانت طيور خيالي وخيدعي، تطرق ابواب الكون الهائل، وتخسف مرتدة في رحم الارض، حيث ترى عظما متأكلا هنا وحجرا هناك او تشهد العمليات الجنينية لنشوء جذور النباتات. (قاطعناه وواصل)، كنت اظن ان الحكومة هي عربة الجيب (ضحكنا) وكلمة مدينة لدى تعني الفرع. اما الفرع فهو عندي ثوب بهيج الالوان، صارخها، مضمج بغير (الصاروخ) الحاد الفواح.

(جلس طيפור وناكف درديري وهو يضحك :- ذوقك كان ومازال فاسدا. ولم اصاحب طيפור في ضحكته عسى الا يقاطع فردديري مع نوادره وملحه فمزاجه متقلب).

وهذا انفق - واصل درديري - ان اشترى والذي بقرة سمينة وضخمة ووسيمة. وكانت تلك أول شيء بمثل هذه الضخامة يلج بيتنا المتعب.

وبدئنا ان البقرة حين شارفت صحن دارنا، اربكت شعر جلدي اذ قام تعظيما لها. كان والدي منشغلا عنها. وكنت اعجب لذلك. ادخلها بمساعدة عبدالرازق الراعي ثم هرع سرعا للدبوان. بشارك اخوتي - ممن هم اكبر مني - الاستماع. كانت القرية وقتها في حالة استنفار الف مواطن وعشرون مديعا. واشهد بعيني طفل كيف كان المزارعون - ومن بينهم والدي - يخلقون جماعات جماعات. حول المذيع يسمعون لغة تستعصى علينا ثم تدوى الاغاني المختلفة قليلا عن "لو بهمسة" (نددن طيפור باللحن فور سماع عنوانه و عنفته. دار وراء غلامى اتفقنا سويا في نهايته على الصمت).

وواصل درديري:

هنا واجت البقرة دارنا كان يوما مشهودا. وتسمع لفظ اكتوبر خمسين مرة. ويسرح خيالك مرة اخرى نحو ثوب مزركش يعبق برائحة الصندل المخلوط ببنت السودان وفي المساء عندما جلبوا البقرة ضللت والدتي و مدحت ضرع الوافدة الميمونة. وسمع والدي مديح والدي البقرة فابغض. كان المديح موجه اليه. وحين كبرت علمت ان تلك الابتسامة انما هي ترجمة للسرو والرضا، عن الفعل الذي يجلب البهجة للزوج والولد. قالت والدتي: مبروكة ام اخطانا لبعثا كثيرا جدا وساخنا. وشربنا منه حتى تمللت الوانى في ايدينا. وقالت

والدتي: كفاكم ثم اردفت بنفعكم. واحمد ما شرب اللبن وحين اوشكنا على النوم ظل يغيظنا صائحا وهو مدثر: مياو - مياو ويغتاظ عبدالله ويضربه. ثم ناو. فيصوب عبدالله كوبا من الماء البارد في وجهه.. فتسكن القطرة في احمد غاضبة او تستحيل كلبا.

في الصباح كانت تشدني اغنية تقول اصبح الصبح: وكنت افهم ان ذلك الصوت الراقى يعلن لنا أنَّ يوما جديدا قد ازف. وعندما حل المساء سمعت مرة اخرى "اصبح الصبح" وعجبت جدا للامر. وقلت هذا الرجل كاذب.. الدنيا ليل وهو يقول اصبح الصبح.. وسالت والدى فنظر في وجهي مليا لا شك انه كان حائرا. ثم ابتسم ابتسامة خفيفة وقربني اليه ثم قال لي بصوت خفيض كأنه يخاطب رجلا كبيرا: البلد حاصلة فيها كركبة. لم افهم: ولكن طيور خيالي حال سماع لفظ البلد طارت نحو الحواشات وكلمة ثورة ذكرتني بالكراكة ام دلو. اختلط فرح الناس بفرح امي واخوتي وفرحي بالبقرة فصارت على مر السنين عندي مقرونة باحاسيس تلك الايام. وكلما سمعت نشيدا تذكرت بقرتنا تلك بل كانت اكتوبر ايامها تعني لي «الثوب المزركش الذي اشتراه ابي لامي ورائحة (السيد على) في زمن دخول البقرة لحظيرتها». وعندما كبرت وعرفت المعنى الضخم لاكتوبر خجلت من ضيق افقي الذي جعل من سماء الثورة اللامحدودة، خرقة قماش محدودة بتسع ياردات. كانت السنوات الست او السبع التي تلت عام البقرة مؤرخة بنشاطها وحوادثها. تقول والدتي لوالدى:

متين جاك الطرد من تاج الدين قبال وللابعد اشترينا البقرة ؟

ويجيئها والدى:

- وكنت البقرة طرحت.

وتسألني والدتي او تسأل احمد وعبدالله: اسوى ليكم شاي؟

- لا. بعد ما نعشى البقرة ويحلبوها.

دخلت تلك المرهاء ام غرة حياتنا، ملأت علينا فراغ الطفولة الشقية بالعمل، وملأت معدائنا العفويات باللبن وشرائيتنا بالدم.

ومن عجب انني شعرت بتحسن في مستواي الدراسي تلك الايام بفعل لبن البقرة (ضحكنا طيفور وانا. وواصل درديري): سررت لهذا الاكتشاف وصرت انتبه له واجريت المعادلات الرياضية التافهة الكبيرة وقتها: كوب لبن = حل مسألة حساب الكوبان = حل المسائل كلها وحفظ سورة في الصباح. ثلاثة اكواب قراءة مقرر التاريخ وفهمه! فهم التاريخ يا للاكتشاف المذهل وفي ذات يوم قررت شرب عشرة اكواب وقلت حينها لنفسي ساشرب كمية من اللبن تمكنني من الانتقال من السنة الثانية الوسطى للثانويات مباشرة - وكنت تلميذا خارجيا وشربت الاكواب العشرة سرا ذلك المساء وبدلا من دخول الثانوية دخلت المستشفى!

مرت سنوات ثم كبرت وكبرت البقرة واصبحت رمزا للوفاء نقدم طعامها رغم انها هربت ولم يهرم النشيد. لم تعدتلد. وبدلا من ان يلتقي جيل البطولات بجيل تضحياتها التي كانت تساق للذبح.. التقى ظلها بحجر فتلبس الاخير فيه ثم حل بالقرية الطاعون البقرى فنغقت البقرة الامثلة،

لو علمت بي جماعة الرفق بالحيدان لمنحتني وساما. ما بكى مثل بكائي خريف ناجح ولا بكى شجر بامتداد رصيف بدمعه الاصفر اغزر من بكائي عليها. بقرة الحسن والوسامة بقرة الصحة والاجابات الصحيحة في امتحان الانجليزية بقرة الفرنسية وبقرة الجغرافيا كان شباب قريتنا ايام حماسهم بالعهد الجديد قد كونوا جمعية لحرق الحيوانات النافقة اجتمعوا ومن بعد تناقلت القرية لسنوات محضر ذلك الاجتماع الشفاهي

- بلدتنا - قال معروف - تحتاج للنظافة العامة وحرق القاذورات واجب عاجل. اقترح
نحرق البهائم الميتة.

- اقترح نعمل مقبرة للحيوانات - قال برعى - لانو الدين يحرم حرق الجثث ونحن ما..

يحرم ١٩ - جيب لى دليل بى آية واللا حديث رد عليه معروف.

وتجاذب الشباب المشروع واشتد الحوار واحتدم ثم اوشك الشجار السياسى ان ينفجر
انتصر راي معروف . وقال معظم الشباب: دفن البقرة يحتاج لحفرة بحجم صهريج الماء
والبقرة ليست انسانا. وصاح مختار الجانبى - وهو شاب طريف يهتم من كل مسألة
باطرافها الثانوية.

- انتو تعالوا النسعلكم البوذيين البقول عليهم برعى ديل شنوا؟

وقال معروف نحرق الحيوانات النافقة درعاً للأمراض وتخليصا للقرية من سور الروائح
النتنة الذى يطوقها كحوش السجن الكبير وهكذا تم حرق كل حيوان مات فى السنة او
السنتين اللتين تليتا الثورة ثم بدأ حماس جمعية الحيوانات النافقة يفت.

خرج من عضويتها فى تلك الاونة حسين وكان يرعى مقاطعا مع عوض الجيد الضاحك
منذ ايامها الاولى. ثم خرج على الطاهر وعثمان وحسن السر.. والبقية مات نشاط الجمعية
دون خروجهم فكانما الامر والحال هذه حال قوم غطتهم قطية منهاره مضت سنوات ونسينا
الجمعية. وهكذا عادت حليلة لقديمها ونفقت بقرة بت على ولم يحرقها احد. بل خرج اهلها
والقوها فى الارض البور قرب مشارف القرية ثم نفقت بقرة حاج الطاهر ثم بقرتنا وحدث
الشيء نفسه. خرجت خلف جنازة بقرتنا وانا ممنوع من الاقتراب او التصوير بفعل زجرة .
فقط خلفها. وحين وضعوا جثتها المنتفخة فوق الكارو، وانحدرت دمة.

ومضى يوم وليلة على فقدى الممض للبقرة.. خرجت وكنت قد شببت عن الطوق واصبحت
شابا له انفة وفتونة. رأيت المدينة عذابها وعذابها. خرجت وقد ادخلت يدي فى
نجايف بنطالى.. اقلد كرامة البقر الامريكيين.

قالت والدتى - وين ماشى؟

قلت لها طالع الخلاء مثلى مثل الناس. قالت: يا ولدى الدنيا ظلام. ارجع . فلم اسمع
ورددت العبارة المألوفة: (طالع زى الناس)!

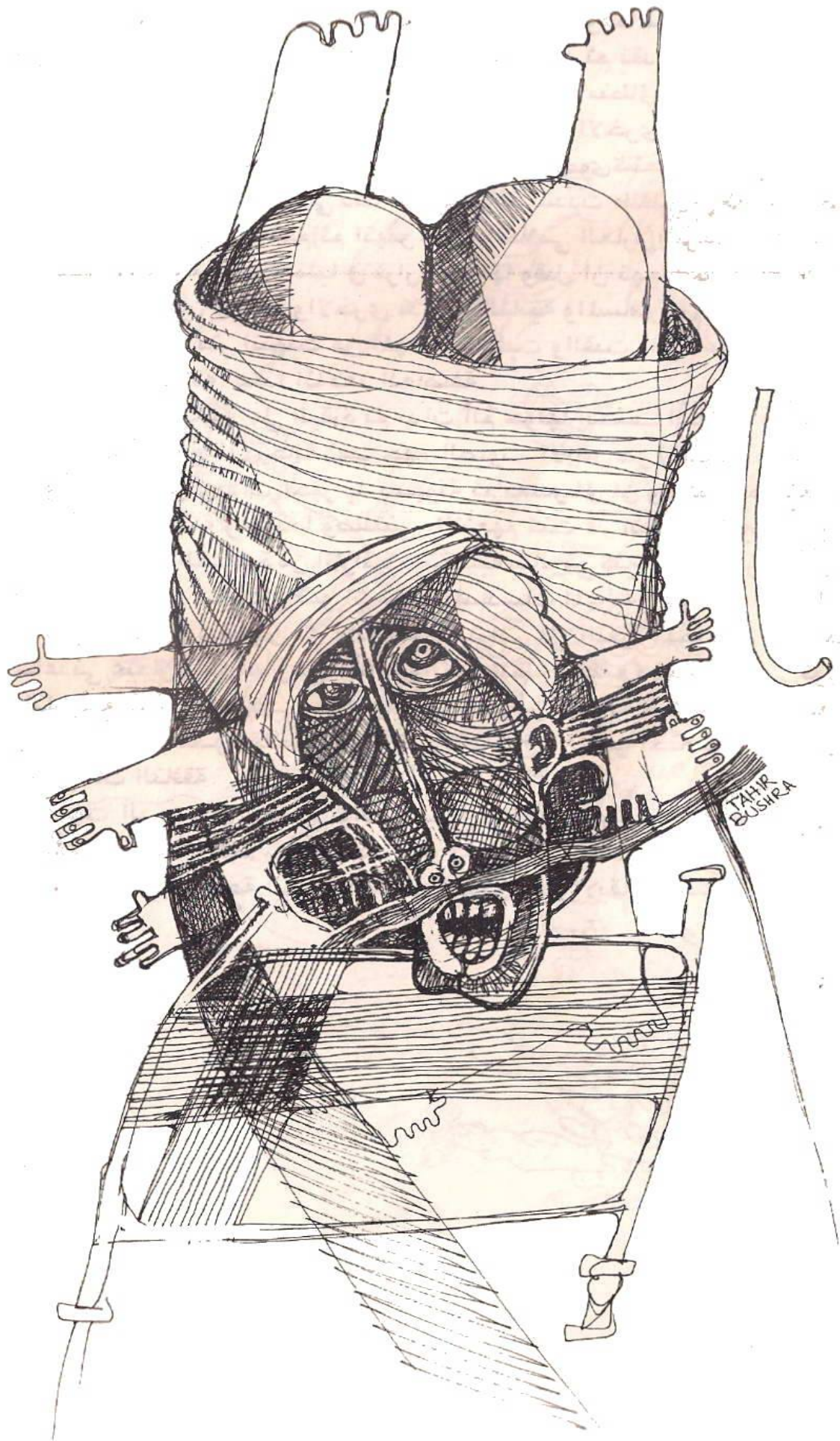
عند مشارف القرية ابصرت جثة بقرتنا. تبدو اكبر من حجمها ومعلقة كسفينة على الافق
امعنت النظر فرايت كائنات تتحرك حول الجثة ولم يكن المرء يتطلب تفكيراً على نحو ما ليدرك
ان السوائم تلك ما هى الا كلاب . بقيت مائة خطوة. نعم كلاب .. يا للهول .. سبعة كلاب
رمادية جميعها وضخمة - كان الواحد منها جحش . عيونها البراقة متيقظة وتبدو اجفان
عيونها فى الظلمة كأجفان الشخص المتعب. متحركة فيما بينها بسرعة كأنها حشرات فى ماء
راقد. ككائنات الترع. دنوت اكثر. نعم هى فى حالة عراك دموى. وهى تتحلق حول الفريسة..
كل كلب يقاتل كل كلب ليفوز بالغنيمة وحده. وهى ان اشتركت لتركت بقاياها للعقبان من
فرط الشبع ولكن الوحوش لم تسمع بقانون عدالة التوزيع. هذه الوحوش القاضية
تستخدم قنابلها الصوتية البشعة وانيابها التى تشبه دلو الكراكة التى تقبع منذ المهدية
فى برعة القرية. كلاب كهذه ما رايت. ولا كصنفها ضخامة. كانت القرية تتكلم عن الشياطين.
حتى ذات يوم حين كنا اطفالا - حكى مختار الجانبى والناس مشغولون بالقرشى حكى عن
مسافر ليل متعب تمنى ان يسعفه الله بوسيلة مواصلات وعندما اعياء السفر والمشى
وضحك الطريق ولم تاته استجابة فورية طلب الله مرة اخرى فقال: يا الله اى شيء يوصلنى



عشر خطوات بيني وبينها. كلاب السوء وهنا شعر قبيل الوحوش ذاك بالخطر
فأرعدت سائر فصائله. وأطلقت بنادقها الصوتية ثم تقدم كبيرها نحوي بخطوة مهتزة
لتأكد من ردة فعل ولحظتها أدخلت يدي في جيب بنطالي للتأكد. كانت عيناى تنظران
بعده فأرى الكلبة كلها بعين واحدة وأدخر العين الأخرى لتتنظر داخل دعاغى عن انجع
التصرفات مع الوحوش وعلا الغبار وتقدم كبيرها نحوي كثعبان تحرك من جحرب شطة
وأنا لم أكذب. قبل أن يدهمنى ذلك الكلب الوغد سددت طلقتين في نافوخه. (صرخنا فيه معا
بصاير) قال الدرديرى نعم (ثم انهمر سيله الكلامى العام) أفرغت ست طلقات أخرى قبل
أن تفر الجماعة الكلبة مليا في قرار هجومها وقبل أن تهجم على أو تعقد معى صلحا أو
تجربى. المدة بين الطلقة والأخرى نذر من الثانية والمسافة بين الراس المتهالوية والأخرى
المنداعية نصف متر انتهت من المهمة. تشفيت والقيت نظرة على البقرة، ثم جلست. يدي
فوق راسي تحملا له. هكذا أنا بعد العاصفة.

القيت نظرة ثانية على البقرة ثم بدأت ألم حولها العشب الناشف فكومته كوما كبيرا ثم
أضعلت سبجارة وأنا في حالة تعب جهير الصوت. الأرض حولى سوداء ورحيبة وهشة أخذت
ساقى فطن بابس وبدأت أحفر به بسهولة ثم بعسر الى أن وصلتني طلائع اهل القرية اثر
سباعهم للضجة وعندما وصلتني طلائعهم كنت قد اشعلت النيران حول البقرة التى
جذبها للحفرة الصغيرة من اطرافها المتخشبة سالونى كثيرا (قال الدرديرى) واجبت قليلا.
وهناج في والدى - أنت برضو اشتريت المسدسات المهربة؟! لم انظر اليه ولم اجب.
كان الجميع ينظرون الى وأنا اهيل التراب على البقرة المحروقة. معروف ساعدنى ثم
ساعدنى عثمان وعبدالله وعلى الطاهر والكبار ايضا ووضع مختار الجانبى فوق القبر شاهدا.
وأنا أرجع معهم كان ذهنى يعمل في جانب آخر من المسألة قلت لنفسى هل تعنى مساعدتهم
في أن ح. ح. ستقوم قائمتها مرة أخرى؟ كان ح. ح. هو اختصار من عندى لعبارة حرق
الحيوانات النافقة.

(صمت الدرديرى. صمت وأدخل يديه في تلافيف جلبابه وغاص في تاريخه الشخصى
الضال. أما طيفور فقد راح يضحك وهو يغازل اعواد الذرة: ثم ما لبثنا أن خرجنا من حقل
الذرة مضطحين برائحة الطين والعشب والذكريات والابقار والشجر).



كرسى يتناثر

اعتقلوا قاسم فجرا بضجيج وحقد، هدموا نظام البيت وايقظوا والدته واباه وصغيرهما معتز الذي ما كان يدرك انه سيهتف بعد سنوات طويلة عندما تجيء الهبة (يحييا الشعب).

واقف قاسم بعد ان تم زجر والدته الباسلة ولجم والده الغاضب وبعد تسليم معتز للثوار كانت كتب تحت اقدام الهمج، وكانت تحت مرمى طلقاتهم مهج.. وصاحوا في قاسم وهم يخرجون به اين المنشور؟

كان قاسم يوجه رجاءاته الصامتة لأمه وابيه بعدم استفزاز هذه الكلاب وتصطك اسنانه. يتفان ما بين ان تنصاع لقرار وبين ما تربيت عليه، احيانا تكاد تنتصر التربية فترتفع اليد وتوشك ان ترسل صفعه فيلجمها القرار. هذه الحكاية ليست عن قاسم.

خرج عبدالجبار ضحى وهدف الى بيت النائب الهمام زميل الدراسة ودعاه لبيته مساء على العشاء، ثم رجع للبيت يزيل عنه اثار الهمج وتعاون ومعتز في ارجاع الحكمة الى الرفوف والموسيقى الى الدفوف والزرع المداس عليه الى الزهريات والجروف. ودلفت عليهما ام قاسم باقية بغداد بانث فطمأنها عبدالجبار بكون الطلبة مدرسة وولدك (حرامى) ثم اخبرها بانه سيعالج الامر (من فوق).. وانه (ليس شخصا سهلا) حتى يعتقل بعض (الصغار) ابنة هذه الحكاية ليست عن عبدالجبار. وانشغلت الام بالمسح والبحث والجهيز حتى مغيب الشمس ثم نفضت الغبار عن المائدة والكراسى العتيقة وعبقت الهواء بالغبار ومررت تيار الهواء على مستعمراتها التي احتلتها اليوم جيوش النظافة المتفوقة. وهذه القصة ليست عن امنة.

فتح النائب الباب، دخل كانه فرعون، كأن بيمناه عصا موسى. كأنه سيفلق البحر. تراد فنقول - هذا نائب لا رئيس له. رجل موهوم بالاهمية.. يمشى مهما ويتنفس في مساحة زمن اقرب مما هو مخصص له فعلا للتنفس. يتنحنج مهما ويمارس شعائر الانف والاذن والحجرة بعادية كان الامر موسيقى.

نظر النائب الضخم الى الحيطان الصقيلة ثم ارتد بصره تجاه الاسرة اللامعة ثم تداخل ابصاره فلمعت اطراف عينيه كناية عن الرضا وظلمت، وبهتت الاجزاء الداخلية من عينيه لاسباب مجهولة وكان يزم انفه كمن ياكل ليمونة.

وضعا النائب المضروس خطوة ثم اردفها بطبيقتها وهوى على الكرسي الاول في البهو فداش راس الكرسي وتململ وارسلت ارجله الخشبية شكواها لطوب الارض وسال النائب

لأنهم آية الله يستطيع الكرسي الانتظار أكثر من هذا. أصدر طوطم الأول ثم طوطم . ثم طار بصاحبه وهوى على الأرض كجحش لم يتدرب بتطويعه على أن يستغلونه.

وتحطمت اجزاء الكرسي تحت النائب الذى تشتت بدوره ما بين اطراف واسنان ساحطة وعينين مبلقتين وكان عبد الجبار ينظر اليه بحيرة منع من ظهورها الثقل . وهذه ليست حكاية عن النائب او الطفل او الجحش .

ضحك معتز الصغير عاليا وذلك هو الموقف الوحيد ضد الزيارة التى هيات لها الاسرة بتؤدة وصمت .. والقمة عبد الجبار زجرا ما سمعه طوال عمره الغض فسكت الصغير بارتجافة مخلوع وكظم حنقه وخرج للشارع بالونة من الغضب ما لبثت ان انفجرت .. وليست هذه القصة عن البالونات انها حكاية عن الكرسي .. فلقد كان ذلك الكرسي الذى تناثر فى ذلك اليوم مناهضا للاستعمار .. جده الاول كان كبرا وكان يزين ردهات القصر الملكى بسنار ويجلس عليه كل بادية وطنى وكل معلم للشعب وجدته لأمه بنبر قيل ان صاحبه مهيرة بت عبود ، والبعض قال لا ، بل شغبة بت محمود وآخرون قالوا بل شريفه بت بلال ولكن العارفين بالتاريخ ذكروا الكنداكة وعندما اندغم مجد الكر بعرس البنبر خرج الكرسي وقال القوم هذا من آيات الدنيا السبع وسموه آية الكرسي .

جاء هذا الكرسي عن طريق الجلالة لام درمان واهدوه للخليفة فاسبغ عليه نعمة الطلاء ومن ثم دخنوه بالطلح ودهنوه بالودك فابعدوا عنه جيوش السوس ثم اهداه الخليفة من بعد للمنافق سلاطين وعندما سل سلاطين سيف نفاقه وهرب ترك الكرسي لاحد افراد قبيلة العباددة وذلك فى الدروب المشتبهات بين حدود وحدود .

وليست هذه القصة عن الخليفة او سلاطين او القبائل .

واستمر تداول الكرسي من بطن الى بطن الى ان عاد لامدرمان سالما وانتقل الى آل حيازة التى خرج من نسلها عبد الجبار فنبذ الحيازات كلها إلا هذا الكرسي العجيب . ثم كان ذلك اليوم الذى تناثر فيه الكرسي منتحرا على طريقة العهن المنفوش وهى حالة ناتجة من الفارق الحرارى ما بين الاعتداد للدرجة مائة بالتاريخ الشخصى والشعور بالمذلة حتى الصفر من الكتل الجالسة ممن يضحمون ذواتهم نصا وروحا .

الطفابع

هنا زمن الحق الطابع.

لا يعرف فيه مقلول من قاتله.

وعلى قاتله

ورؤوس الناس على جثث الحيوانات.

ورؤوس الحيوانات على جثث الناس.

فمستس رأسك

فمستس رأسك

صلاح عبدالصبور

هنا خرجت الدخول المسرجة تبحث عن فرسانها، ضحكت البيوت على ابوابها وعلى
فرسانها الضجر انطى قال سعد الياس: يتسلوى الخروج والدخول خرجنا في الليل، ولكن
منازل الأجرة مصر على ان الوقت ضحي. حاول الماحي الموثوق به اقناعه وضحك طفل على
الوقت فاجده ابوه كما يلجم جحش مشاكس. قالت قطعة فلين كانت داخل سداة قارورة،
ان سلطوا على لباسي ثم انتزعوني من حجرتي الآمنه ورموا بي في الشارع. حين خفق قلبي
رد جرس التلفون في بيت جارنا. نحل على الاقل العربات الغليظات اوشكن على بقر بطني
الصفوي العمارات فواظن على من كان صغيرا واصبح كبيرا فهو قاهر. ومن كان كبيرا فاصبح
صغيرا فهو عامر.

(٢)

في تلك السنة اخطط الحابل بالنابل، لم يعد المرء يشعر بالاطمئنان على حقه في ان يكون
له بيت ياتي اليه او قطعة خبز تشبعه وامد الامر الى الاعضاء فجاة تجد من ينازعك في
قاعة الطريق، زاعما ان الرجل التي تتدحرج عليها ليست رجلك، والرأس التي تفكر بها
استور ما فلان وانقسم الناس بين قصابين بشريين يحملون سكاكينهم وفؤوسهم وذبيح
بشرى حتى يقطعون ايديه قبل رؤوسه، قلت لصديقي انني فزع كفتاة راودها ابوها عن
نفسها فما الحل؟ قال عليك بالثلج صبه فوق رأسك. قلت ثم ماذا؟ قال: (والقرض) قلت ثم
ماذا؟ قال المستندات.. المستندات. اخطف رزمة من الملفات الملقاة في النيل السابحة فيه الان
وابحث عن ملكيتك الخاصة لحواسك واعضائك ومشاعرك. قلت حسنا حسنا. وهرولت مثل
شخص سوى في مستشفى للأمراض النفسية، جاحظ العينين متقلبا كذلك سوى جريت،
جريت، ثم قفرت في النيل مع القافزين ولم يرحب النيل بجسدي المقتحم. ونسيت مالا ينسى.
عاطفي قال فعل اللا ارادى. نسيت السباحة. كذب ارشميدس هذه المرة ولكنني تماكنت
وامام امرى لكي ابقي. فخطيت واعملت مخالبى في الطمي فحصلت على ملفات مغموسة
بالطين قرب جدار بالنيل مكتوب عليه حرف النون، وغسلت آلاف الملفات والاوراق فلم اعثر
على حرف النون المتداخلة في مخيلتي كالحشرات، على النون الخاصة

بى ولكننى عند الظهيرة وجدت اسمى ضمن قوائم مطلوب القبض عليها، قلت فلا ثبت هويتى اولا اما السجن فخير من فقدان الهوية والعنوان.

ثم وجدت رزمة اوراق اخرى تسمى الى، فخرجت بمحصولى نحو الشاطئ وهناك ارتطمت بصخرة الحيرة، ثم تلفت فوجدت حشدا مشغولا بتجفيف مستنداتى، فجففت مستنداتى، ثم رايت الحشد يرسم اعضاءه فى الاوراق فرسمت ساقى واوراقى ثم رأيتهم يبصمون فبصمت ورأيتهم يرقمون اعضاءهم ٩ خ ٨ خ فرقمت أ، خ. قال صديقى ويحك؟

قلت: ماذا؟

قال: سيظن الطفابيع انها اعضاء جديدة مستوردة (سيوبر)

قلت: لماذا؟

قال: هج لخ تل، هب قل بس كيوبر.

قلت: ماذا؟

قال: لاوقت لاسئلتك الغافلة فسر! فالناس قد ساروا امامك. وهرولت وجرى صديقى ورائى وما لبث ان اوقفه طفبوع فى يده فأس، وفى وجهه بأس، وأشار الصديق على بان اسرع ولكننى تلكات، وكان التلكؤ هو كل حيلتى فى المقاومة ساعتها.

ولكن صديقى اشار على بان اهرب، واصطكت اسنانه ولا ادرى امن فرط الألم ام انه يحنو على وانا عنيد؟ كانت ساعة نطقه بكلمة (اجر، اجر يا غافل) متزامنة مع الارجحة الموسقة لكفه فى الهواء كنجمة مالبثت ان هوت فى الارض تراخ، ثم اجر، اجر يا مغفل.

وجريت ثم سمعت ضربة داوية اوقعها القصاب بيد صديقى ثم ضربة اخرى لعلها فى الساق وقفت على اثرها والتفت ثم سمعت تل! واغمضت عيني وفتحتهما فرأيت رأس صاحبى قرب رجلي. فتح الرأس فمه فزعا وصاح فى بحرقه وهو يضغط على كل صوت: قلت ليك اسرع انت مالك رأسك قوى كذا؟

ثم قال بضراعة:

اسرع يانوح. اسرع. سيلحقونك. وسبنى من حرقة روحه وخوفه على وحنقه على اهمالى وسلحفائيتى. ونظرت فرأيت ذات الطفبوع الهولاكى يخطو حثيثا فى طلابى والطفابيع لاتجرى لان مركز ثقلها الخلفى متكور اكثر مما ينبغى ولكن الطفابيع تباغت.

جريت كالأعصار هل هو الفرع؟ لا، بل هو الحزن، هو فقدان الرخيص لمن هو غال ثم اننى وصلت مدينة فدخلت شارعها الرئيسى وقلت لبوليسها انه لدى المستندات فرد اى مستندات؟

فقلت المستندات.

فهز رأسه محتارا وسرت بطول الشارع فى تلك الحارة اسأل فلم يدلنى احد على فعل شئ. بوثنائقى ثم قرأت لافتات المحال التجارية والدواوين على اهتد بنفسى قرأت: لوازم السيارات، لوازم الحمامات، لوازم المراحيض، لوازم الكلاب، اين لوازم البشر؟ طفت بمستنداتى حتى المساء ولم اهتد ثم اخيرا فى شارع جانبى، وجدت محلا صغيرا مكتوب عليه (تصوير المستندات فى الحال) دخلت مشتبكا بالحديث والمناولة مع صاحب الحانوت وكان مما قلته الا يوجد طفابيع فى بلدكم هذا؟ قال: كانوا هنا منذ ست سنوات والان حلت محلهم الطامة الكبرى وسألته وأنا فى سبيغة منتهى الرعب: ماذا؟ الطامة الكبرى؟ قال نعم هى زاحفة بشرية ساحقة، ماحقة، ساحلة، قاحلة، فصرخت فيه كفى! ناولنى مستنداتى التى استنسختها فناولنيها وهو يصيح ان الف نسخة من هذه الوثائق

ان نفقدا لقد جربناهم من قبل وجربنا اصحاب الثيل وجماعات (الحناجر والخناجر) قبل
زحف الطامة الكبرى.

هرولت.. هرولت..

وفي الطريق سألت احدهم: وكيف تعملون مطمئنين وفي بلدكم الطامة الكبرى؟ قال
الطامة الكبرى رائحة كريهة تأتي قبل الريح الاسود. ثم يأتي الريح الاسود، ثم الريح
الابيض، ثم تحل الطامة الكبرى. الرائحة بمثابة صفارة الانذار ونحن على كل نفقد في كل
زحف الطامة قرابة ربع تعدادنا، هذا لان اجتياطاتنا جيدة.

هرولت.. هرولت، ومن عجب اننى وجدت شوارع مدينتنا خالية ثم رايت بعض السابلة
الحزين فسألت:

ولكن اين الطفابيع؟

هربوا للميدان العام، ميدان التراتيل.

ولم!

الا تعرف؟ سيصادف اليوم الذكرى السنوية الثانية عشر لقدمهم انهم يصلون صلاة
الطفابيع الان وهناك عفو عام فلنسرع لنشاهد خشوعهم. هرولت. هرولت. فرايت صلاة
الطفابيع التي اخذت من صلاتنا شكلها، ولكنهم يركعون على قفاهم ويسجدون وعيونهم
مفتوحة على جيرانهم ينحنى الطفبوع عكسيا على ظهره ويسجد كالقوس ضد القبلة وكان
رؤسهم ينظر نحو السجدة يراقب الجمهور، حيث انه في هذه الذكرى ليس مسموحا بالصلاة
الا لهم وقال الجمهور يراقب حتى المرحلة قبل الاخيرة من المراسم ثم تلفت فلم اجد اثرا
لواحد منهم في الميدان وحدى فجريت، وجريت ولكن قرب زاوية الميدان باغتني طفبوع
صغير له حرقه شلطة ووجه كالثلج الجامد، وعين منطفئة داريت وجهي بيدي وقلت له
عندى اتصال بوصول المستندات لمكاتبتكم، اخذه وقلبه ثم اقبل نحوى عشرة طفابيع
فاغتنيتهم عشرين مستندا فاخذوها وقلبوها ثم وفد على مائة طفبوع ونفدت مستنداتي.

ثم اقبل (قاتل - لامحالة) نظر في وجهي وفرقع اصابعه الباردة كطالب اجرة المواصلات
في الصفقات، واصر قاتل - لامحالة على ان امنحه ايصاله ولم يكن عندي ضحك قاتل -
لاصالة غالبا وضحك مجاملا وملتمسا العفو المشروع، رفع الفأس عاليا فقلت لا.. لا..
ارجوك.

هفي في شططشان قيل انهما رقيبى منذ الصبا، كيف ان ذلك الطفبوع اطار رأسي وكيف
انه كسر وقطع بقية اعضائي ثم كيف عبانى في كيس بلاستيكي وحكيا معا ان الكيس ذهبوا
به للمبرة المركزية بغية تصديره للكائنات التي لاتعرف الموت. وحكيا كيف ان القصاب
الطفبوعى اقل بنفسه احدى كليتي وقذف لكلبه الطفبوعى بعظم القصير، ذلك ما حكياه لي
بهدوء، ولعل ذلك سيكون دافعا حقيقيا لتخفيف العذاب عني فيما بعد.

واذا بين يدي الملائكة، انتظر الحساب العسير، قلت لنفسي مطمئنا.. لا بد اننى سادخل
الجنة.

الطفابيع كلمة جئت بها من عندي، كما يبتدع الاطفال الكلمات. ومفرد الطفابيع طفبوع
تفرد في جرابيع جربوع والطفبوع هو المقابل الهزلي للسفاح ففي حين ان السفاح



يقتل فتنجم عن فتكه بالآخرين صدمة مريرة، نجد ان الطفبوع يقتل بصورة مبالغته
ومأساوية للحد الذي تدخل فيه المأساة في اقليم الكوميديا فيضحك الناس في الظاهر
ويدونون ابتساماتهم في ذاكرتهم المؤقتة ويخترنون احزانهم في ذاكرتهم الجمعية الدائمة.
وفيما اورده جمال محمد احمد طيّ (سالي فوحر) بعنوان (جمجمة تتكلم) خير مثال للقتل
على الطريقة الطفبوعية حيث ذكر ان رجلا سمع جمجمة تتكلم في غابة فسألها عن سرها
فقالت جاء بي الى هنا لسانى. وذهب وحكى عنها وعاد بمن يرغب في التأكد فلم تتكلم
الجمجمة فكانت سببا في قطع رأس الرجل بتهمة الكذب فاصبحت هناك جمجمتان وفي الليل
تكلمت الجمجمة القديمة بعد فوات الاوان قالت (اما قلت لك جاء بي الى هنا لسانى؟).
وكما يوجد قتل طفبوعى يوجد كذلك موت طفبوعى، اوردت الصحف السودانية حادث
موت امرأة في برميل مريسة كان مدفونا في الارض وذلك عام ١٩٧٩م بضاحية في الخرطوم.
تجدر الاشارة الى ان الطفلبيع كتبت بموسكو في اواخر ١٩٨١ وارسلت للسودان اوائل
عام ١٩٨٣ ولكنها ضاعت قبل النشر فاضاعت بذلك ميقاتها المناسب ووجدت مخطوطتها بين
اوراقى فاعدت صياغتها. ومن عجب اننى قرأت منذ شهرين تكرر حادث موت امرأة في برميل
مريسة اذ نشرت الايام في صفحة الجريمة تلك الحادثة الجديدة لتضاف لرصيفتها القديمة
منذ عام ٧٩.

الصواريخ

استمر في الطفابع في مدينتنا على دور العبادة، وكان عدد تلك هائلا، ولم نستتب خطتهم في الاستيلاء، ولم نعرف تاريخها، بيد اننا صحونا ذات فجر فوجدنا مؤذنا طفبوعيا جهير الصوت في كل مذبة، واماما طفبوعيا مطبوعا في كل دار عبادة. وكانوا ياذنون لنا بدخول تلك الدور وفي عيونهم شرر يتطاير مع الضغينة المدغمة في سلام السنة، الذي يرددون به في وجه كل داخل من المصلين الذين هم ليسوا من بني جلدتهم كاي واجب سلام بالالفاظ وسبق الامة السابقين قدقت اعناقهم وابتعد الطفابع رويدا رويدا عن دين ابائنا فجاءوا بصوات من عندهم.

وتحدثت المدينة عن هذا الاحتكار للشعائر وترندق الطفابع حتي اوشكوا ان يوهموا الناس بصلوة القربي، والعياذ بالله، وكانت فؤوسهم التي بأيديهم مكتنزة، وقد التحمت بقوسا عدا، وحلت محل الاكف، يرفع الطفبوع فأسين مكان كفيه بالدعاء. أصبح الدعاء هربا، يردد المصلون منا فيحل بالحلق علقم دام من ترجيعه، ولكان هنالك شفرات حلاقة تقطع الاصوات والكلمات ولات حين مناص.

وتحدثت المدينة عن شخص قال، «لا» ففهمها الطفابع وترجموها للمصلين بلغات البلد باسمها ثم اعادوها لاصلها الدخيل باطالة في الصوت الاخير وامالة، فبدت بلغة وعادت باخذها من جراء الفلتر الطفبوعى الواثق من نطقه للحد الذي تدخل فيه الابانة والوضوح انحرور منطقة السطح.

ونشأوا في المدينة ضد الرجل وكالوا من بقوليات سبابهم ارادب ويسوا المكيال في ركنه وقالوا ندعو عليه في صلاة الفجر، ووزعوا المناشير التي ترغم كل مصل أن يأتي الفجر الخالي بما ملكت ايمانه وبازواجه واطفاله مسربلين، فلا تغيب حامل ولا مرضع ولا يقعد فقه ولا اعصى عن واجب الاستنفار، ففي غد يبتدر الطفابع الدعاء الكبير الدعاء الصلب الذي لابد ان يستجاب، ووزع الطفابع الملح والعرييب بالمجان للميوني مواطن لكي يتم جلاء الاصوات في الغد بالدعاء الرهيب.

وقبل لحظة الصلاة اصطف خمسة عشر الف طفبوعي في طابور بديع امام كبير الطفابع ورفع هذا يده اليمني في تراخ، ولكنه تراخ حازم مع ذلك. ورفعت خمسة الاف يد اخري من ذوات الميمنة، نفسها وخمسة الاف يد من ذوات الميسرة، وخمسة الاف اخري من ذوات الشريد قبل ان تصدر الرؤوس الغفيرة المتصلة بها أمرا بالرفع، واكتفت الرؤوس بهزات جاءت بعد فعل الايدي وغمرت الميدان صيحة «اوية: الجبار» وبادت الحشود الطفبوعية، الجبار المنتقم.

ثم امر كبير الطفابع فتحرك الجيش فصائل - فصائل، كل قصد ناحية بالمدينة واستعجب الناس فتعداد كل فصيلة كان بالضبط كمضاعف عدد المساجد حتي يكون هناك

امام ومؤذن طفبوعان لكل جامع. وكان المصلون هنالك قبل انبلاج الفجر. وهكذا اصبح
الاذان شكليا، ولو ان الطفبوع الرهيب اذن في قلة ودخل، لوجد حضورنا مكتملا، وكان بين
شخص مرعوب، احضر معه بعض اغنامه ودجاجه، وعندما ساله الماموم الطفبوع
مستنكرا، اجاب خائفا:

أليست مؤمنة بالمعبود مثلنا؟

فتركوه ريثما يجزون الصفوف، ثم عادوا فانتهروه فخرج بأغنامه متكئا ينضح دما. واندا
المسكين كلية بينما كان في السكة لبيته.

ودوي صوت مهيب، كأنه سبع حباله الصوتية رعد ولعابه نبع ذلك أن خمسة الاف
مؤذن طرّقوا في يقين كامل مفصح عنه بإبانة مجهورة بأذانهم أذاننا الوسطي في ثانية واحدة
وأقيمت الصلاة وماكان هنالك من مشهد لصلاة كهذه في قرن كهذا أشد نظاما وظلاما، كانت
صلاة كثيفة جاءت فيها الطفابيع بنصوص الوعيد، وركعوا علي كيفهم وتفرسوا في الوجوه
وتجشأوا وانتهوا. ثم جاء وقت الدعاء فوزع الطفابيع في كل مسجد الحلوي والنظرات
المتفرسة وهم يصيحون: «المؤمن حلوي» ولكن الناس سمعوا الطفابيع يرددونها- المؤمن
قلوي او خلوي ربما وحسبوها غنة في أصوات الطفابيع فحسب. ومن عجب ان الحلوي
تبخرت في الافواه ودخلت كل مئذنة حتي سدت أسقف الجوامع ثم رفع الامام عقيرته
بالسؤال:

- الجبار!

وهدرت الجموع وراءه بالقرار:

- المنتقم!

للحظة بدأ فيها الصوت الخاشع المتضرع، كأنه يتوعد. وإهترت الجوامع، ووزع
الطفابيع منشورا في ذم الفاسق. ذكروا فيه انهم أنذروه وقالوا له قل (ون) من قبل، مكان
(نو) ولكنه استكبر وزفر في عجمة وابلسة الاستهجان الجهير.
وأقبل الناس علي المنشورات الطازجة يشمون عبير حروفها حائرين. ثم هتف خمسة
الف طفبوع من الائمة ونحوهم من المأذونين.

- ياكبير! أرجم هذا الشيخ اصلبه. أخسف به اسفل السلم الاجتماعي. أهدر دمه وعرضه!

وهدرت الجموع.

- الجبار المنتقم!

وهنا حدث شيء جلل. كان لشدة ارزام الجموع وعظم الحشود وتدافع الوفود
وتصاعد الاصوات والغارات والفحيح ان أقلعت المآذن في خمسة آلاف جامع كالصواريخ
نحو السماء. انطلقت هادرة كلها مخترقة الاجواء. ومحتركة الانباب، وتداخلت في جوفها
الاصوات والوقود فخفت بسرعة مدوية.

- فو.. فو.. اقتل... اصلب... اسحل... فو

وتدافع الناس خارج المساجد يشهدون صواريخ من صنعنا النامي. في البدء رأي
الناس اللهب يتلاشي يليه الغاز، تليه وسامة ثم سمعوا الهدير ثم رأوا الصواريخ تتدافع

فأشك أن أصبح صاروخا جبارا فردا صمدا .. وكأنها كانت تفكر، فأحرزت وحدانية الهدف .
وأصبح هناك تدافعان، تدافع الخارجين من بوابات المساجد وتدافع الطارقات لأبواب
السماء .
هكذا ابتدع الطفابيع حرب السموات والنجوم .

النفس الاخير

كان الجنود يستعجلونه وهو مصفد يمشى امامهم خبيبا يستحثونه ويهشونه بالسونكى
فعل راج مع الغنام وكان الرجل الصامت قد ربي نفسه على وزن ادائه كان يشعر بان
الاستجابة للجري كما يبتفون مذلة في مثل هذه اللحظات البائسة ولذلك فانه اذعن
لهربات الجنود المتلاحقة مفضلا اياها رغم وحشيتها على الجرى المهين.

وفي الدروة شدوا وثاقه اكثر وحجبوا العالم عن عينيه بضمادة ورجا الرجل الصامت
معصوب العينين رئيس الفصيل تنفيذ طلب له اخير وكان الضابط بعيدا جدا عن قناعات
الرجل الصامت . وكان ذلك يحرك نواياه في هذه الساعة واذلك فانه اجاب بنفاد صبر.

- طاباك شنو؟ ماتموت موتك زى الرجال مابموتوا.

- عايز لو سمحت اولع سيجارة اخيرة.

- طيب الله يطولك ياروح لكن انا ماعندى سيجارة (مخاطبا الجنود):

- في حد عندو سيجارة؟

وقاطعه الرجل الصامت المعصوب العينين:

- لا انا عندى سجائر.. بس عايز وكنت اشرب فيه واحدة.

- طيب

والخرج الرجل الصامت المعصوب العينين بمساعدة الضابط لفافة من جيبه ووضعها في
فمه وهتف بصوت جهير حتى سمعه الضابط والجنود معا:

- ولعة لو سمحتم.

وصاح الضابط في جنوده:

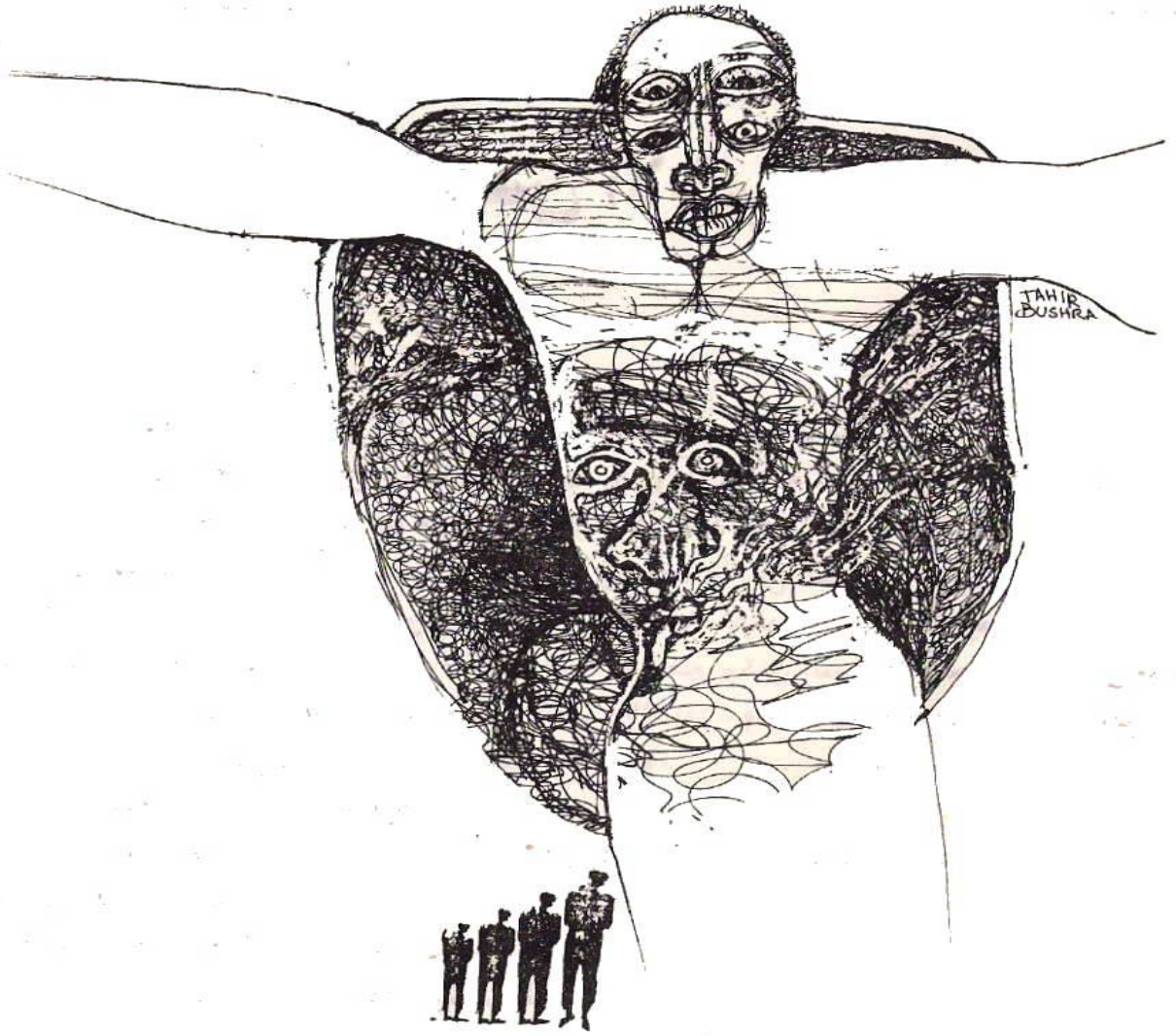
- في حد معاهو كبريت؟

واجاب الفصيل: لا ابدا سعادتك.

وقال الضابط بصوت محايد:

- لا يوجد كبريت افكر بعد دا ننفذ.

وكانت اجابة الضابط تحصيل حاصل ان الرجل الصامت قد سمعها من الجنود . وهز
راسه باسف ثم امسك اللفافة بين اسنانه وشفتيه واتخذ وقفة التصميم التى تدرب عليها
منذ ليلة التوقيف . كان رأس الشهيد في حاجة الى (كيف) اخير من هذا العالم الذى يحب
وسط هذا الكم الهائل من الفضاة كان بحاجة الى نار للفاقة ولكن النار التى هطلت على
صدره وسائر جسمه لم تشعل التبغ بل اشعلت هتافا داويا صلدا ثم تدلت اللفافة



مع دوى الطلقات كأنها مكسورة وهى السليمة. ولف الحزن اللفافة لكونها لم تندغم فى نسيج تلك الرئة الشجاعة. ذلك خير لها من احذية غليظة تجيء من بعد الصمت لتسحلها صدفة حين تسحب مع السحل عمدا، جثة الرجل المسلة الى داخل حفرة اخفاء الفتك الجماعى.

هاء السكت

هاء السكت - وقيل هاء الوقف او هاء السكوت - مرض يشل قوى التفكير والحيل ويحل في زمن المنعطفات اذ تنتاب المصاب به حيرة لا قبل له بها فيلزم الصمت .
مثال ذلك شاب عينوه كاتباً ففرح وتحرك حركة فعينوه باشكاتباً . ثم تحرك حركتين فعينوه مديراً للقسم ثم تحرك حركة ذات ابعاد فعينوه مديراً للمصلحة ووعدوه بوكالة الوزارة فتحرك حركة عظمى فعينوه وكيلًا للوزارة . وقيل له تحرك اكثر تكن وزيراً . وجاء يوم اخرج فيه مخزونه الحركى واستعد وتحفز وقبل البدء دهمه قرار من ذوى الشأن فالقى به قرب شبك المعاشات وهناك اصلبته هاء السكت فسكت .

مصيبة

هبط جيش لا شعب له في ارض شعب لا جيش له . كان الظلام قد هبط مع هبوط الجيش . فقال الشعب هذه ارضي . اغرب عنها .
فقال الجيش : لا بل ساحكمك .
وقال الشعب : انا احكم نفسى بنفسى .
فقال الجيش : لا حكمك لنفسك سيؤدي لمفترق الطرق .
واعلن الشعب بحبل الوحدة ضد الغزاة .
فرفع الجيش هراواته الغليظة وحارب الشعب الاعزل وحاربه واستبسل الشعب حتى استشهد اخر فرد فيه وخلا للجيش الميدان وتلفت قائد الجيش حواليه فلم يجد شعباً يحمله . كانت الخيول المتعبة المستعبدة تنتظر دور المحكومين وصاح القائد في جنوده اين ذهب الشعب ؟
واصاب الجنود المندھشين هاء السكت فسكتوا .

تطلع

كانت هناك بلحة وجدت نفسها ضمن اخريات في سبيطة بهامة نخلة . كانت البلحاه اجمل من يحباتها منسقة وهي تعرف ولونها زاه وهي تعرف . وطعمها حلو .
كانت تلك البلحة بنت السبيطة في علاها ترقب حركة ابناء القرية البطيئة الهسولة

وملابسهم الرثة وتعجب وتقول لنفسها : انا اجمل ثمرة في هذه البلاد .. فكيف يقطفني هؤلاء ..

وتردد في سرها : لا . وتمني نفسها : ان تلتحف السلوفان وان تنام في محكم العلب وان تهاجر لبلدان ماوراء البحار .

وإنقضي جل الموسم والبلحاية تتأبى علي الصبية المتسلقين وتمني نفسها بما تمننت كل يوم ، حتي جاء يوم فهبت ريح غبارية هوت بالبلحة وسطروث البهائم . ثم أصابتها هاء السكت فسكتت .

عصامي

عاش في قديم الزمان وسالف الانظمة والأزمان . عصامي همام تعلم الابجدية فعصمه حبه لها من اللهو الزائد . وتعلم القرآن والحديث فعصمه هذان عن اللفظ المشين . ثم تعلم الانجليزية فعصمته هذه عن جهل المناطق المقفولة ثم سلك في طريق المعرفة فعصمته هذه عن الذلل ، دهرًا ، ولكن الوظيفة ، بفعل اللا شهادات ظلت عنه محجوبة وذات بريق ، حتي حل بالمدينة غزاة فعينوه جابيا للضرائب فرضى وانتشى ثم رحل الغزاة وحل مكانهم بعض من بني جلدتهم فعينوه كاتبًا عامًا يكتب عن الكبد وأبي دمام وأبي تمام وأبي دلامة وأبي فرار وأبي الحصين وأبي نافورة وعن دواء الشقيقة ومصر الشقيقة وعن أصل الكون وترفع المثقفين ، وهكذا ظل العصامي يكتب ويهرطق حتي دهمه السيل فاصابته هاء السكت فسكت .

كاتب

كان هنالك كاتب .. كتب كتبًا مكتوبة فقرأوا كتابته ولم يكتبوا عنها ثم كتب عن كتاباتهم قائلًا عنها أنها مغرضة فما كتبوا عن شخصه .. ثم كتب عرضًا وأودعه مكاتب محاكم المدينة وانتظر طويلاً فما آتاه رد . مؤخرًا أصابته هاء السكت - فسكت .

محارب

كان هناك محارب في زمن السلم إرتقي أعلى المناصب في زمن السلم وبني أعلي الابراج والمكاتب في زمن السلم وسكن أجمل المساكن في زمن السكون وعندما نشبت الحرب وجد طريقه الي المستشفيات فلزم سريرًا باحداها وهناك أصابته هاء السكت - فسكت ..

تكنوقراطي

في زمن المجاعة إستدعي الوالي تكنوقراطيا لمجلسه وقال له :-
يا تكنوقراطي يا همام أريدك لمهمة ، تنحنح التكنوقراطي وقال بأدب جم :-

يا مولاي نخدمك وانت رئيس. فصاح الوالي العالي:
 يا تكنوقراطي اجمع لي زكاة تكسوانة باسرها، فقال التكنوقراطي امرك مطاع يا مولاي.. ثم
 انحنى بادب خارجي تعلمه وخرج.
 وفي بيته فكر التكنوقراطي ثم فكر (تكسوانة) باسرها جائعة، الزكاة والحال هذه لن
 يرضي عنها الوالي ان جمعناها خبط عشواء، لابد من التخطيط وفي صباح اليوم التالي اذاع
 التكنوقراطي بياناً انشأ علي اساسه شعبة لجباة الزكاة ثم اسعفه في المساء ببيان لانشاء
 شعبة للبحث عن الولاة المتفقهين الباحثين عن الجباة الباحثين عن الزكاة - وفي صباح
 اليوم الذي يليه كون مكتبا للباحثين عن البحائة الباحثين عن الولاة الباحثين عن الجباة
 الباحثين عن الزكاة ثم كون بعد اسبوع وزارة الباحثين عن البحائة الباحثين عن الولاة عن
 الزكاة ثم كون مجموعة وزارية باحثة عن وزارة الباحثين عن البحائة الباحثين عن الجباة
 الباحثين عن الولاة الباحثين عن الجباة الباحثين عن الزكاة.. ولم يكتف التكنوقراطي بهذا
 بل امتدت يده الطولي الي مجوهرات الوالي لدعم مشاريعه الاستثماريية التنمو
 اخلاقية الهائلة الطالعة مثل السلعلع الجهمني العائرة السوط. وشعر الوالي بالحركة تحت
 مراقبه بحثا عن المجوهرات فمد يد بطشه ببنية في فك التكنوقراطي فلم يصدق الاخير وتوالى
 الضربات والركل والسحل حتي جري المسكين وصاح كمعكوس ارشميدس.. لم اجدها.. لم
 اجدها.. واوقفوه وقت عرفوه فسألوه، لم تجد ماذا؟
 ولكن التكنوقراطي كان قد اصابته هاء السكت فسكت..

فاتنة

كانت هنالك فاطمة.. وهي كانت فاطمية، فطنة وفاتنة.. فطمها اهلها عن المدرسة باكرا
 فذهبت نصف ذبول، ثم فطمها ابوها عن الطفولة فزوجها - وهو المعز لدنيا البريق الفاطمي
 - زوجها لمهاجر وضمها الاخير لاملاكه ثم تركها وسط غليظين فساموها سوط القهر.. عاشت
 سنة من التعاسة وسنة من التبلد وسنة ثالثة كبيسة.. انجبت - هذا الصيف - توأمين فكان
 الخاض بحرا من الغبن والدماء طالبت زوجها بالطلاق فقوبل طلبها بالزجر والضرب
 وطالبت ابوها بالطلاق فقابل طلبها بالتهديد والضرب ثم طالبت امها بالطلاق فقابلتها امها
 بشتائم نكوصية ترتد علي الام وتمزق وجدان فاطمة المفعم بالخوف والحب.. طالبت فاطمة
 طوب الارض ومناشير الدجالين وحارات الموتى، وتاريخ الغلب، فما جاءها إلا الصدي. وفي
 الصيف الماضي انتحرت واصابت امها هاء السكت - فسكتت..

اغلبية

كان هنالك حقل من البصل (اخضار!) وخضرة البصل تسر النافطر. عاش لعدة شهور
 في الفة ورواء ومنعة، الي ان جاء يوم ظهرت فيه اعراض المرض علي بصلة في منتصف الحقل.
 واجتمع البصل الذي حولها وقرر ان يقتلعها حتي لا تنقل العدوي للحقل. وبينما كان

والبصلة،
ودخل في مشادات مع كبار البصل ومع المسمس علي السواء. وإستمرت المعارك الكلامية
لاسبوع كامل إنتقلت خلاله العدوي الي دوائر بصلية جديدة. وهكذا ظل البصل يتناقل
فيروس المرض ويتحاور يوميا ويباصر الي ان اصبح الحقل كله موبوءاً بمرض البصارة، عدا
بصلة واحدة في طرف الحقل. وفاحت في اجواء الحقل روائح نتنة من سائر البصل عدا بصلة
واحدة كانت في ركن الحقل، رائحتها كالمسك..

وقررت البصلة السوية، التي اصبح صوتها جهوريا، والحقل يهمس، أن تنفي
البصل التالف حتي لا يعديها. ولكن ذلك البصل كان أكثرية في الحقل، لذلك صاح فيها
بصوت واحد:-

-تقلعينا؟

واردف متهمكا:

-بالله؟!

وفي حركة خاطفة حدث النقيض، اذ هجم البصل التالف الغاضب علي البصلة
السوية المتطولة فاقتلعها ورمي بها بعيدا وهو يزفر حنقا ويشهق غيظا ومع ذلك فان
البصل الذي اصبح سيدا للحقل كان قد ادرك ان غلبته بلا طائل فهي غلبة خائبة، لذا فقد
اصابته هاء السكت فسكت..

عدوي

بينما كان الراوي يتجول في عنابر مرضي هاء السكت أصابته العدوي - وسكت.

مقاطع قصصية

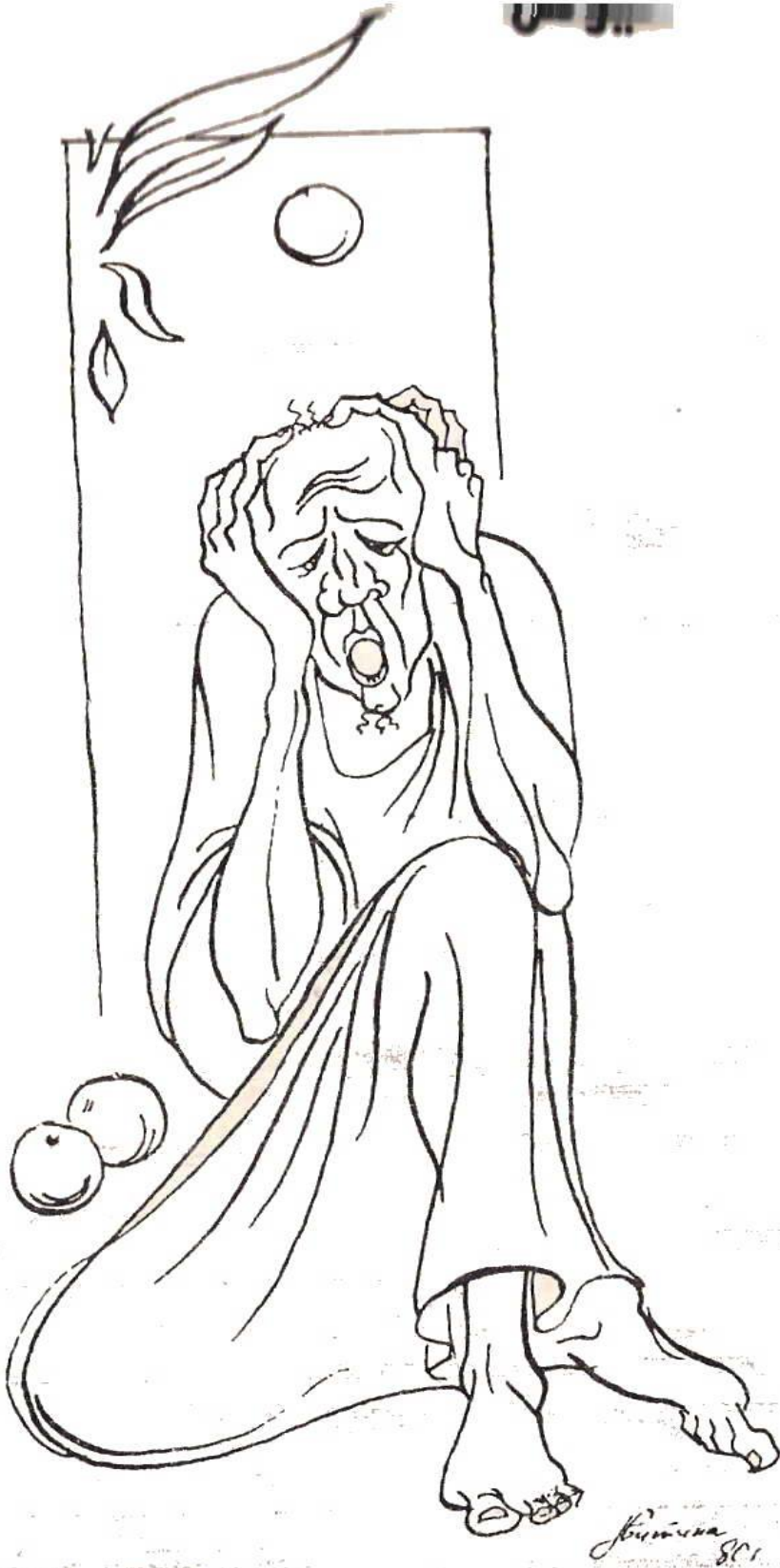
حيوان

هبطت نجمة من اعاليها في السماء، انفها قبالة موطنها الاول وارجلها لاترضى بان تلامس ارض بلادنا. بعض عقلاء الجيلة هلّوا لها "نجمة.. نجمة.." ويرى صحبي انها نجمة حقا "لكن لها شئ" .

انذار

انخفضت ضفة النيل اليسرى بينما اليمنى حافظت على مستواها، الناظر للنيل يرى شفتيه تكفي معتوه يتعجب مائلا بشدة وهو يقول "يعنى" ... ضفتاه لونطقت لصاحت "باسودان هل تفلح الارض ام انكفى لادلوق مياهي".

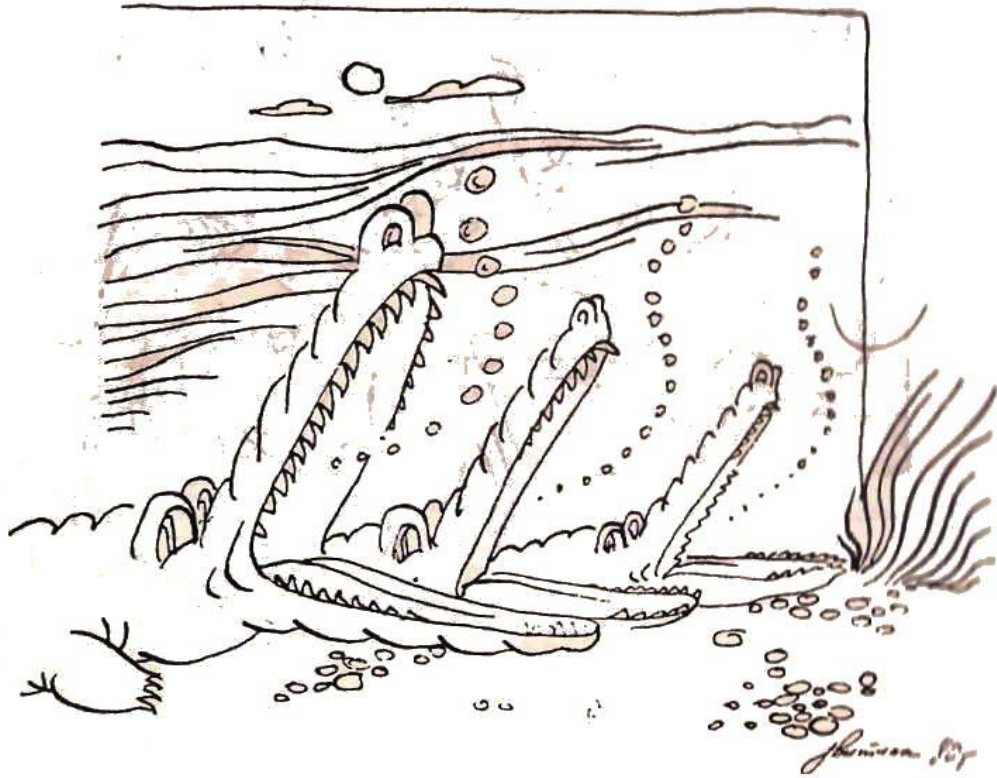




خرج جدى البصير النابه عبيد ود نقد، رأسه مشغول بهموم الناس والارض... غرق حتى اذنيه في مفصل التفاصيل... خط قاربه في فيء الدومة واستظل بوارف ظلها... خمس دومات سقطن فوق رأسه.. لم يمت جدى بفعل الدومات ولم يكتشف قانون الجاذبية!! كدمة ظاهرة بقيت لعدة ايام في مقدمة رأسه...

ديكتاتورية

خرجت ثلاثة تماسيح في قبض الصيف من جوف النهر الخانق واستنشقت عبر الحرية
وصاحت في صوت واحد متحمسة:
« أه ما افطلع قهر الضفاف!
ونهرها النهر
« استبحي اذن شمالا حيث البحر.
فلذمرت التماسيح قائلا
« عاوزه ملح
فرمجر فيها النهر وقال بنفاد صبر
« اذن موتي
ولكن التماسيح لم تمت بل غاصت في بطن النهر واصبحت تحفر جنبات واديه وتحفرها
وتحفرها حتى اصبح النهر فسيحا بحيث وسع عرضه البلاد بأسرها.



أبشر

عاد الشاب "المختلج" الاطراف لاهله بعد طول مكث، محملا بالثياب والعباب.. سعى
بين اهله مفصحا عن رغبته في الاقتران، خطبت له امه نادية.. فتاة صامته اهلها قالوا عنه
فاسد جدا، جيرانهم قالوا كنز ثيابه لاغبار عليها، ماله يتحدى السوق بالجديد هرج!

مرج !! المارة عرفوا ان ثمة عرس ما يقام بالناحية. تصاعد الغناء ودخلت العروس حلبة الرقص وهي تخطو بايقاع وخيلاء.. قال الفنان يا.. ففاجأها ضحك ينبعث من ناحية الفتيات. التفتت لترى بعلمها المرتقب مثل بعير غاضب يده في السماء ورجله اليسرى في عيذاب واليمنى في البقعة. صاحت الفتيات الخجالات.. اشتر!! اشتر!! اش.. جرت العروس للداخل.. تجمد الفتى في مكانه "طالق"!! في سره طلق عروسته كاسرع طلاق في تاريخ العرس السوداني.. وسكن كل شيء.. ثم علا صوت الصفقة المشيرة لاغنية جديدة.. العروس عادت للحلبة من جديد ومن جديد عاد الغناء وصاح اهل العريس "ابشر.. ابشر".



نملية العشق

قرب مدينة "نمولى" عاشت قبيلة من النمل.. ملكة وحملات وحمالون، امينات وامناء مخازن.. عشقت صبية النمل نائلة نمول الفتى. هو روميو وهي تاجوج. ربط قيس يده الحبلىة في دلو عبله وخرجا نحو قصر الملكة.

قال الفتى جميل: احبك يا جولبيت

فاجابت الصبية ليلي: اموت فيك يا المهلب. في الطريق صادفهما الوزير المتنمل الاطراف قال:

واخطبهما قائلا في طريقنا للمملكة لنعجن عصارة العشاق جميعا.. نلتقي.. نفرح.. اذ تبارك الملكة زواجنا..

سارا مائة وخمسون سنتمترا باكملها ولاحت في الافق الملكة تعتلي نعلية العرش.. قالت: هاي ايها النملة اللطيفة قد جئت في موعدك، لكن اين خطيبك؟ قال نمول.. واذا.. التفتت الملكة لترى حبيبها يوسفيا لونه كابهي مايكون السواد فمه واسع يقوى على حمل حبة من الذرة الشامي.. تحرك سائل الحسد في دماغ الملكة نحو الخلايا العادلة في الدماغ.

عقدت قرانهما ثم وزعتهما للعمل في الحقول لجمع الحبوب... صارت النملة نايلة تخرج في السادسة صباحا الى الخلاء تدخل جحرا، تأخذ حبة وتخرج وهكذا وحين تعود لبيت الزوجية في المساء تصادف زوجها في قارعة الطريق تلوح له بمنديلها المبلل بالدموع النملية الباردة الصامتة.

كان الفتى يعزق.. يجد حبة وان لم يجدها صنعها ثم اخذها وخرج.. دخل اخذ حبة وخرج.. وهكذا فلا يتناوبان الورديات وعدم اللقيا حتى قضى نحبهما.

نملة السكر

عاشت قبيلة من النمل قرب نمولى. كانت قبيلة من نمل السكر. ونمل السكر كما نعلم قبيل حلو ومسال.

وهذا حدث ان تعرفت نملة على نامل متنمل الاطراف. تعارفا ومن خلال دوران الحياة وعفوانها تحابا، ثم اصبح ذلك الفتى النملى بعلا مرتقبا للنملة الصغيرة.

وذات يوم اكتشف ذلك البعل المرتقب "مساخة" النملة الصغيرة ونمل السكر لايجامل في طعم بذاته الفاتنات. وعندما اخبر النامل القبيلة بالامر نصحوه بأن يغمسها في حوض به سائل حلو، فغمسها فيه فخرجت منه دائخة بلا سكر تفوح منها رائحة البن.

واخبر القبيلة بعدم الجدوى فنصحته بان يحقنها بمضاد الانسولين ولكن ذلك لم يجلب لها بدورها. وهكذا فكر الزوج المرتقب وفكر ثم قرر ان يصبح زوجا غير مرتقب واخبر النملة الحائرة بقراره فقالت له حانقة: - سكر.

ثم نهست لنفسها: - هل كان ذلك القمى يريد في الزواج منى ام من السكر؟ وارتاحت النملة البديعة حتى شعرت بالسكر يجرى في احشائها مقام الدم ولم تخبر بالفراخ الداخلي احدا.

وملقت تمنى نفسها باجنحة وشراسة تطير بهما كالنمل اللاذع. نحو منابع العسل.

✽ نودر الإشارة الى ان جميع هذه المقاطع عدا نملة السكر كان قد اعد صياغتها الاستاذ عبدالسلام حسن عبدالسلام المحامي بناء على طلب من الكاتب.

✽ الرسومات في هذه المقاطع للرسمات السوفيتية الشابة لودميلا ليقيتينا من لينغراد.

حكاية البنت التي طارت عصافيرها

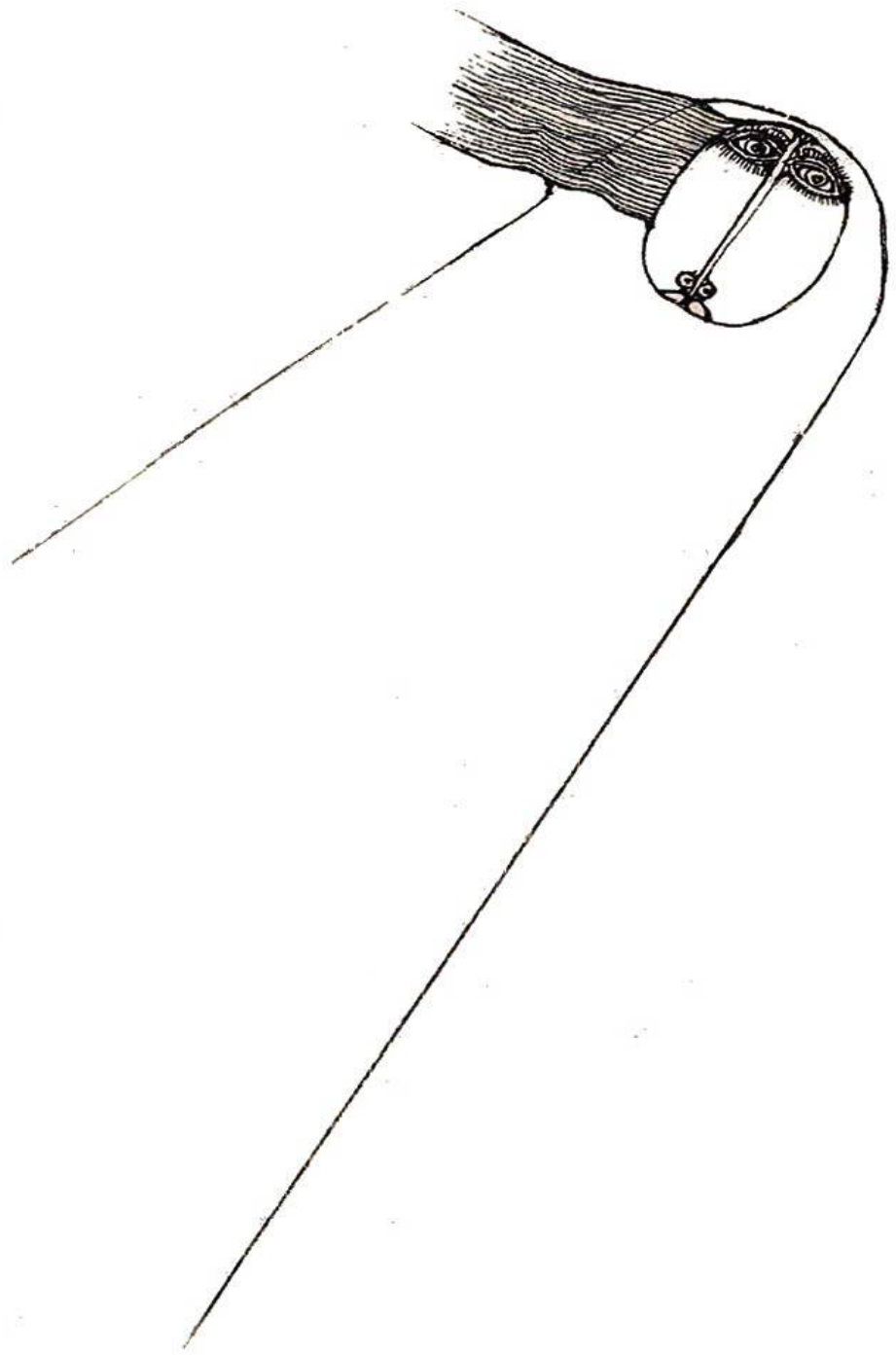
كنت مديّة وسط حشد غريب من البشر، لا تجمعهم سلطة خضروات... شحاذين وجزارين وشرامية، قافزين ومادحين وجنود غلاظ رائحين وغادين، مترهلين، وعجاف. باعة متجولين وفتشدين وسبابة، منتظري موصلات وجلابة، متأنقين ومتأففين. ومن بين كل هؤلاء مثنون منقبون يطاردون النساء بالعيون والأيدي والأجساد، ومن لم تسعفه الحركة بطار، بالاستجابة المباشرة الحسية، أو حلم اليقظة..

كنت مديّة حادة السنان تشق طريقها وسط الزحام فتحدث الماء مفاجئاً في كتف هذا بشقوعاً (بمعلش) وجرحاً في قدم هذه متبوعاً (بسوري) ولكمة في وجه تلك موصولة (بمخاسف) وكنت من فرط سرحاني لا انتظر رداً علي اعتذاري..

كان النهار اخضر لا كعادة الصيف، كنت ملتويا بالبهجة كعمامة اعرابي يزور المدينة العسرة الثانية، لا التعاملات سعيدات مثلي ولا ربات البيوت - انا ابن المحطة الوسطي العنقري في الجيب المشربب عنقا لحادث حركة او مظاهرة نشال، المستيقظ منزولا، المتضور جوعاً الباحث في شحم البقرة عن عمل.. شغبي مكتوم.. ومظلوم ابن مظلوم ومع ذلك سعيد هل ينتزع الاوغاد. سعادتي؟؟ هيهات.. وهكذا كنت لا انوى التجول فتجولت والناس عسرة بطيخ بشري. كل كوم ينتظر وسيلة موصلات دنوت من احد الاكوام واخرجت ابوات انتظاري.. اخرجت اولاً كوعي ثم راحة يدي فعاوننا رجلى في حمل الجسد المستهلك يومياً والمغيب على مدار العام. ومن بعد اخرجت عيني ثم طفقت انظر.. انظر.. في الاتجاهات جميعها واخترن..

رايت اولاً رجلاً اعمى، كانه وهو ينظر امامه يقرأ من لوح محفوظ.. ومضي الرجل لحاله لكن نفودي تناقصت. رايت ثانياً امرأة بدينة لدرجة انها حين تنادي وليدها (ياهشام) تحس بحرق الهاء يعن في اذنيك مليئاً بالشحم رأيت رجلاً عبوساً وطفلاً تغازل رجلاه علبه صلصة فارغة. رايت اصواتاً وسمعت روائح لا حصر لها وفجأة وسط هذا كله رأيتها. قفز الدرويش بقلبي، ورأيتها فارعة الطول من غير ان تتأرجح قمحية لا كالقمح الذي نعرفه. ولكن القمح حين يكون قمحياً مثلها، اخذت من الضباط اجمل ما فيهم مشيتهم. ومن

الناس اخذت البابهم. تراها فلا تشيع قلت لنفسي: هذه فتاة طارت عصافيرها كان وجهها مستديرا ويبدو هكذا:

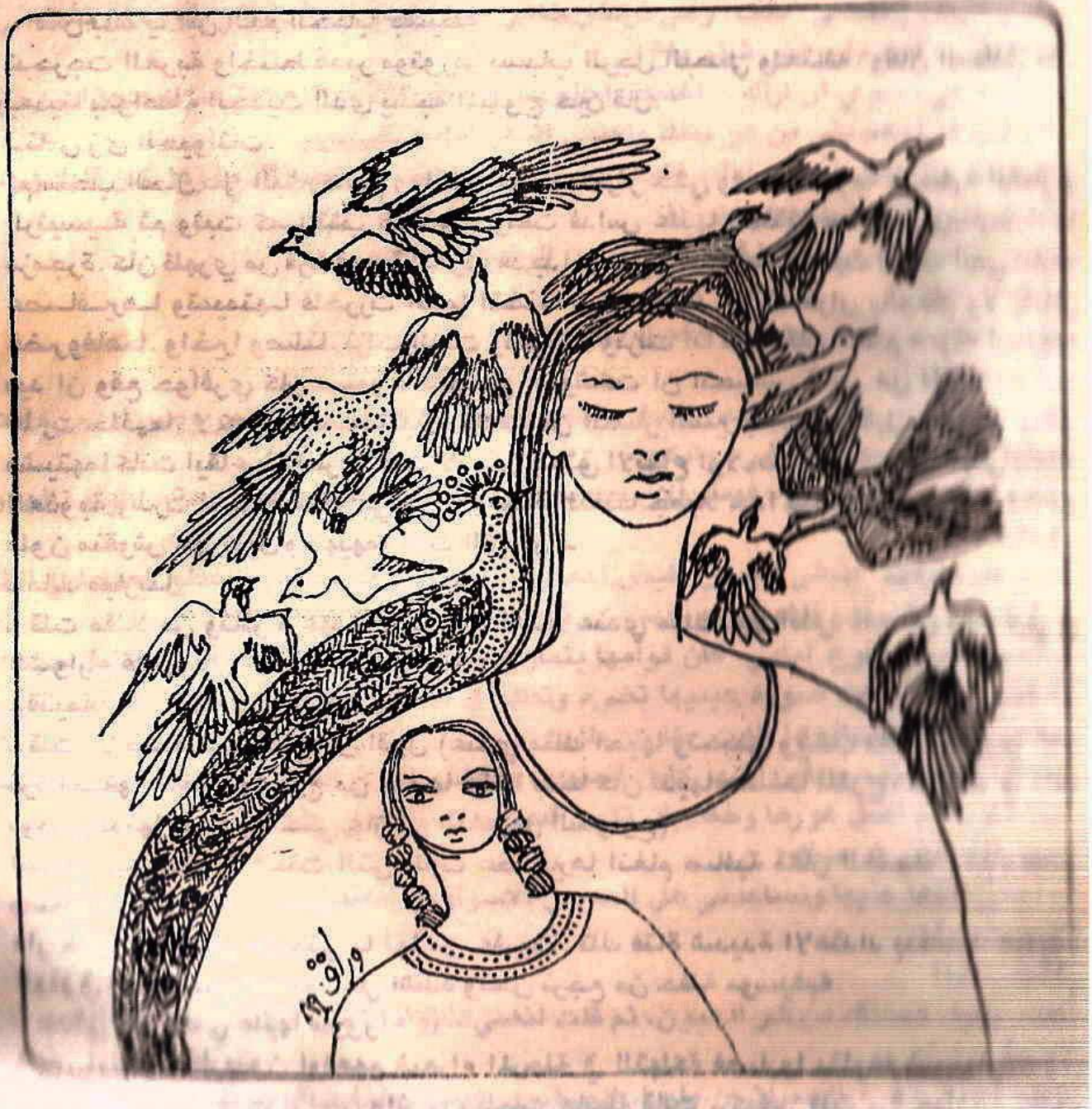


وكان انفها كالخضر الطازج ولها عين: يا الله! وعنق فرعوني ذو وترين مشدودين انيقين لا يبدو ان الا اذا التفتت. واذا التفتت هربت جميع البائعات بفولهن المدمس وتساليهن المملوح. وهربت الشوارع من حفرها والروائح النتنة من اماكن بيع اللحوم، وهربت ذاكرتي الي مستقبل اتمناه اذا صببت ماء في هامة البففت التي طارت

عصافيرها، انحدرت ناحية الجبهة. وكان جسمها اذ تمشي يتماوج، كأنه بريمة تنداح دوائرها
في قطعة خلاب تنوي ثقبه.

اقبلت نحوى فنظرت لحالي واصلحتها، واقتربت اكثر فرأيتها تمسك بطفلة صغيرة
كبروها إلا من بدانة في الطفلة كانت يداها تتشابكان كأنهما مصممتان خصيصا لذلك،
وقال لها منهنما تمسك بشرودها. وكانتا تعقدان الحواجب بلا دهش بين كل دقيقة واخري
يحدث يبدو ما يحدث لعينيها مثل برق يغسل عن وجهيهما نظرات الآخرين الجائعة. قلت
هذه فتاة طارت عصافيرها، ثم التفت لاختها فقلت: هذه تميمه ولا بد جاءت بها لتقيها من
غير الآخرين، هذه تميمه طارت راحتها.

ورأيتهما كثيرا جدا حتى تخيلت نفسي بالمقابل بشعا، فأجفلت ولكنهما ما أجلفتا
ونظرت للتميمة، إن فيها دقيق كأنه لا يأكل اللايوق الذي اتلوث به. وألقت الي الناس ثم
الربوا مرة اخري ونظرت ثم نظرت، نظرت! حتى انقذت الموقف عربة اجرة دلفت



على حين مباغثة فافسح الناس للتميمة والبنت التي طارت عصافيرها. علي غير عاداتهم مع النساء الاخريات، فركبتا ومن خلال غبار المنافسة وجدت نفسي ايضا داخل العربية. تحركنا وكانت العربية معطوبة ناشفة في سيرها. كان جاري يدخن وجاره محشو بالبصل ولو لا ان النهار كان اخضر، ولولا البنت وتميمتها وما شذ من جمالهما واخبارهما مما ذكرت لنزلت من تلك العربية التعيسة غير أسف. وعلي كل تصرمت خمس دقائق حين جار الذي هو بصيل بالبصل:- عندك هنا يا معلم.

ثم نزل وضرب الباب كأنه يسقط عليه شجارا باثنا، جبن من خوضه في حينه، فأخترنه. تحسس السائق خده الايمن كأن صفة الباب كانت به. ثم تمتم لنفسه. ناس ما فيها رحمة.

ترنح الرجل البصلي وعاد ادراجيه ورمق السائق بعين حمراء ثم فجر قنبلته. - ايه قلت شنو؟

- صحت فيه:

- امش بالله يا ابن العم الحكاية بسيطة.

تدحرجت العربية واختلط هدير موتورها بسباب الرجل البصلي ولعناته. وكأن السائق كان يعنينا بمواصلة الحديث الذي يشبه المنلوج حين قال:- ناس زى الحيوانات.

ثم سحب الحال علي البشر كلهم وما لبث يذم ويتنرفز حتي وقعت العربية في حفرة الشارع الرئيسية ثم وثبت كما تثب ضفدعة. ونقت فداس عليها سائقنا فرضخت وسارت قدما مزمجرة. كأن ظهري من فرط قسوة العربية قد بدأ يؤلمني نظرت امامي حيث البنت التي طارت عصافيرها وتميمتها فاحرزت انهما اتخذتا شكل المقعد. لا تشعران بالوجع ولا ينزلن غضروفاهما. واخيرا وصلنا. نزلت البنت وتميمتها ونزلت انا ثانية فلم اسمع صوت أرجلها بيد ان وقع حوافري كان مسموعا للجميع. واوشكت ان اتحسس اذني هل طالتا؟! سارتا فسرت خلفهما، لا كعادة السودانيين، وكنت من انصار السير بالتوازي قبل رؤيتهما ولكن مشيتهما كانت ايقاع خواطري. قلت لابد ان ينبثق الايقاع اولا. سارتا امامي موسيقي بالغة العذوبة وسرت لشدة اضطرابي اشتراً وفجأة إلتفتنا جميلا جدا ناحيتي وكان ثمة غضب ملون منقوش علي نبيل وجهيهما قالت الكبرى:-

-مالك مباريناه

- قلت مقللا من وتائر فزعهما: لا يا ابنة العم، عندي مثلك، ولا اطارد الجمال بالبنادق في الشوارع قالت:-

- قديمة!

- قلت: لا صدقيني. وكدت ان اقول (عندي مثلك احبها وتحبني ويحب ناقتها بعيري الف مرة اجيئها غاضبا واخرج من عندها هاشا باشا كأن لديها مصنعا للفرح، خرجت في ذات يوم من لدها مليئا بها حتي غازلني الناس في الشوارع). انسابت من حنجرة البنت التي طارت عصافيرها انغام صافية مكان الضحك، ثم سكنت وسكت.

دار خاطري في ذكر حبيبتي يا لها من عفريت. تلك فتاة شديدة الاعتداد بنفسها. شديدة الوثوق بها. قالت والصيف علي اشده ونحن نرجع من حفلة موسيقية. - جدتي كان يغني عليها سرور.

قلت: اولئك مطربون اوقعهم شعراء المرحلة في التهلكة فصاروا يتاوهون ويتارجحون بانتظام طربا بمفعول لحن دائري وكلمات هابطة قالت:- كيف؟ قلت:- شعراؤهم كانهم

فصابون يبيعون المرأة جزءا جزءا إذ يدنو الرجل من متجر فيه حنجرة تغني وتصيح:
نهد، نهد.. وجنة، وجنة.

فيقلب الرجل في أجزاء المرأة ما طاب له وتنبهه الحنجرة لجمال بعض الأجزاء الغائبة
عليه ويخرج الرجل بعد أن يكون قد اشترى نهدا بالبصل أو خصرا بالجرجير ومن كان
عنده شيوخ يشتري كفلا..

قالت حبيبتي: يخصى ذلك كلام منك قبيح احشر لسانك خلف اسنانك هل نسيت أن
من بينهم خليل فرح؟ فالقمتني حجرا. ولا بد أن حالة سرحاني عاودتني إذ ما أن التفتحت حتى
أم أجد للبنت التي طارت عصافيرها ولا لشقيقتها أثرا.

سذعت من حواسي مختبرا للتجسس على البنت وتميمتها الأذنان مايكرو فونان والعينان
فاسر نان والألف معمل كيميائي واللسان نشرة أخبار وكان المختبر يعمل بكامل طاقته لا
فصانع هذه الأيام ثم ترصدت مثل فأر يترصد حركات عدوه التقليدي فيتفادها. ثم أن
رأى البنت النقطني. قالت: وهي تركض خلفي وأنا أوسع من خطواتي خوف أن تشتمني.
عذبتني. أنت داير منى شنو ياخ!

قالت: لا شيء سوى أن أراك.. أغنيك. احلم بك، لا دخل للآذي في علاقتنا. إنه انجذاب وحيد
الجانب فأنا بعجبني من هو مثلك ولكنني أشعر امامه بالدونية.

سبعت وفهرست في باستغراب فتما ديت:- أمصنوعة أنت من أحمر الدم؟ وهل كان قلبك وردة
فبرت عليها المصائب حتى طوتها؟

سبعت مرة أخرى فسقط قلبي في ثلج من الرضا والفرح.

قالت: يقولون ثم أردفت ومن أخبرك بأمري؟

قالت: ومن معك حتى تخاطبين نفسك بضمير التعظيم؟ إلا إن وجهك نور وصوتك نور وأنت
تأبأ معلقة في دموعي تضيء وابكي.

قالت: جميل كنت أسيء فهمك الآن حصص الحق أنت تعرف شباب هذه الأيام تافهون
ووقحون

قالت: بل أعرفهم. انبشى تجدين نفيس المعادن، المعادن لا توجد علي السطح اصحابي أكثر
من العمل، غالبيتهم يتفهمون ويفهمون ويتفهمون.

سبعت البنت بفرح أمامي. كان قوامها يتماوج حتى اختفت. ورن في أذني صليل جرس
الغضب. وما انفتحت صورة عينيها تضيء وتظلم في دماغي، وما برح وجهها يغذي ذاكرتي
بفرح طارت عصافيرها طارت. طارت. طارت.

وهذا أصبحنا صديقين لشهر كامل استمرت مقابلتي لها في الشارع العام نركض. نضحك
ونضاح فلم أصل غورها وخفت أن تكون قد لامست سطحي. وذات أربعاء سألتها.

قالت: أنت الذي في يمينك؟

قالت: أهلي ألها عليها وتساعدي علي السير في الأسواق وتحفظني من شرور العربات

قالت: راية. تحفظك من شر العيون، ثم قلت لنفسي:- (وإذا المنية انشبت اظفارها الفيت كل
شيء لا ينجو)

قالت: في وجه الجميلتين مليا، الصغرى ذبلت وخارت قواها كما تخور قوى نور

الساقية لابد ان المشاوير قد اشاحتها قبل الطفولة ركببت معها كانت العيون قد بدأت تتطاير من اركان الحافلة كلها وهطلت العيون في افخاذ ووجهي وعيون وجسدي البنّتين وغمرت هما العيون التي تشبه المناشير الزجاجية. التفت ورائي وامامي الجميع محاجرهم كالملاحات الفارغة. طارت العيون عن الوجوه واصبحت في كل وجه حفرتان. ومنعت نظارتي الطبية عيني من الاقلاع والطيران وبما انني منحت حب استطلاع غامر ومتعة احصاء فذ، فقد وجدت ان بجسديهما تسعا وتسعين عينا مستديرة وعجبت اول الامر للرقم الفردي والتفت ورائي فوجدت ان احدهم كان أعوراً

عدت للبيت غاضباً ونبشت اوراقى فوجدت ضالتي وصممت علي الرجوع في الحين. كان النهار قد انتصف. الشمس قائضة وانا مغتاظ ووجدت باب حافلة مفتوحاً ككرش مرتش فدخلت وكانت تلك الحافلة كمركب نوح. بها كل الوجوه. اشتات مجتمعات. فيها يسهل السهو والسرحان. وما ان جلست حتي اطلقت خيولي قوية السناكب من اصطبلاتها فرتعت في حقول - خيالي وخيدعي.

كان صوتي ضاع مني. كأنه سقط. تكالبت علي الهموم فلاعيني ولا عيون غيري ايقظتني. آه مني انا القدر ابن الكرم، يملأونني بالشجن مكان الدخن واللبن واملأهم بالفرح مكان الحزن والبؤس فيئس مصيري، وبخ بخ لمصيرهم كأنني مصنوع لاستمرارهم وكأنهم مستمرون - لشقائي. وآه مني انا ابن النوم. ابن الانتظارات والمواعيد الكذوبات.

لي حبيبة في الذاكرة والمنى فقط. مثلي يتمنى، مثلها. ومثلها لا يرضي بمثل من هو مثلي. فمثل من انا؟ يا بقرة - قلت لنفسي يا وحشا. يارجلأ محشوا بالامراض، بالجراثيم، بالصعود. والهبوط. وبالتحولات والاهتزازات، تحيط به الباحثات عن سعادة فيسومهن سوط عذاب والباحثات، عن صديق فيعاديهن، وتحيط به اللائي طارت عصافيرهن ولا يحيط بشيء ومع ذلك فهو كما يدعي من قبيل يفهم، يعي، يشاكس، يتمرد.

رجعت لحال بؤسى وانا مازلت في تلك الحافلة اللعينة فوجدت الناس من حولي تناطح، لا يترك رجل لامرأة من مقعد ولا تترك امرأة لرجل من لعنة في قاموس فكان لابد من ان انزل قبل ان اصل الي المحطة بغيتي فنزلت ورايت قدامي قطارا من البشر، دفع به الفضول نحو المستشفى ولم يكن فضولي اقل كما ولا نوعا اطلاقاً ولكنني كنت مكابراً. ركببت موجة الزحام بعد ان افرغت كل عبارات وتأوهات التعجب..

- في شئو يا جماعة؟

وتاهت عباراتي السؤالية في لجة عبارات مشابهة وجاءتني تفسيرات شتى كل تفسير مستقل عن غيره فلم ببعض التفاصيل متجاهل لبعضها فما زادتنى اجابات المارة الا اندفاعاً شديداً الي الامام نحو مبعث حب الاستطلاع ثم كان ان انجرفت بفعل تلاطم الناس نحو الشيمة اكثر فاكثرت حتي صرخت: دم! كأن موسى حادة قطعت الاشعة عن عيني كأنني مت. مضرجة. مضرجة. خضابها الدماء والصدمة وخضاب تميبتها الدماء والفرع. وخضاب مثيلاتهما الحناء. دم في ايديهما كقاتلتين وفي ارجلهما كمقتولتين. وفي مختلف انحاءهما بحيث لا تعرف من اين ينبثق قلت لنفسي حادث حركة ولا بد..

حمامة فرت من قسورة

كانت هناك مدينة اسمها مساندة، وكانت بهية، وكانت تستقبل الصيف بعد الشتاء الذي هو كبطون المبردات الطفيلية ذات المجمدات والذهاليز. كان صيفا من المرح المغموس في الذهب المشرق. خرجت بانبلاجه الشابات الرشيقات في مهرجانات ملونة. خرجن من كل فج لئان ملابس الشتاء السميكة، كانت حجابا، تخفي في تلافيته ذلك الجمال وخرج الشاعر متى خروج مصطفى السعيد ذات سبت، يشمشم عبيهن والنسمات. ولكنني كنت مكتئبا وحزينا مشغولا عن الكرنفالات والحسن بالبلدوزر الخباز العاجن، الذي يرمي اثر كل هزة في فريته البشع، بيد او رجل او (من خلاف مسلوخة).

وهنت من فرط حزني لا افتح كوات استنشاق الجمال بمركزي الرئيسي.. صرت امرر طوابير الجميلات، وقوافل الضحكات والاغنيات ودنانير الشمس والعباب الكرة - الريشة. والاطفال والبايعين من آكلي الآيس كريم الشبعين الممرحين. كتميريك مشاهد بانوراما في شريط سينمائي بدارك لأن من تحب قربك.

هذا كنت انظر ولكنني لا اري. تجري الغزالة قرب شبكيتي فأراها غزلا ونسيجا من قوايك في الضراب عن الانسان.

وأحدثت من شباكي الايمن دمعة. لا ليست للبكاء ولكن مخازن الدموع انحطمت
جوانبها فاصبحت بلا كوابح واتسعت عيناى من فرط شدة المواجه وصار صاير دمعى
يقوى الوارد بما لا يقاس وكان يخرج في كل حين حتى خرج جفافا وهكذا لا ارى
وحدثت باحس، اقسم ان مغنيه الاصيل لو هطل علي في ساحتى تلك في ساعتى تلك
والصوتى مستمعها، لانكر انه صاحبه من كثرة غياب الغناء البديع عن ذاكرتنا وعن المغنين،
فان ساعه الاغاني قامت ففر كل مطرب عن لحنه وانكره واقبل علي الصحراء يدورنها..
وسرى نعل في جسدى بغتة ثم رايتنى اسمر عيني في بوابة المترو الزجاجية حيث
الفتاة حمامة رقيقة تلبس ثوبا ابيض وهي سمراء وسط البيض ودقيقة التقاطيع صبية،
في الفتحة على ريماء
وهذه هى نفس انها سودانية من طالبات هذه المدينة النائية العامرة وباغتتني:-

وَقَدْ بَايَعُوا عَلِيًّا سَمْعَانِي بِفِعْلِ الدَّهْشَةِ بَدَلَتْ لِسَانَهَا وَقَالَتْ :

سورة اقصیٰ اقصیٰ

[illegible]

وكننت اصيح بطرب وحبور وايقاع :

- افسحوا .. افسحوا ..

وجريت امام غزالتي مثل ثور، وشعرت من شدة زهوى بجمال من بلادي بانني دراجة بخارية ترعق امام موكب لرعيم مقدم محبوب .

- افسحوا .. افسحوا .. بي .. بي .. بي ..

- وسألتها :

- طالبة ؟

- نعم

- في اي معهد ؟

- ادرس بام درمان

جئت اذن في زيارة لاهل لك بالسفارة ؟

- لا .

- سائحة ؟

لا بل جئت للتو من ام درمان كنت هناك قبل دقيقة .

.....

.....

صدقني الا تصدق ؟ كنت بالمحطة الوسطي قبل خروجي من هذا السلم واشارت لمدخل المترو كنت انتظر بعد الدرس كالا لاف غيري عسي ان ارجع انتظرنا الحافلات المركبات العربات الشاحنات وكان الزحام والحر وكان القيظ والمعاكسات الغليظة حيث يلتفت البعض ليس فقط بادارة الرأس نحوك ولكن بادارة التاريخ الشخصي ايضا بكل رغباته وشهوانيته وكانت المركبة اذ تقبل تتلاطم امواجنا ويقذفون بنا كالفلين الطافي الي شاطئ المحطة في انتظار مركبة وعذاب آخرين وكانت الطالبات من امثال في بكاء صامت ووجوم . وفجأة خطرت ببالي فكرة وانا اقترب من مركبة اذ هتفت وانا امني الذات بمواضلات كالبرق ككن . تجرى من تحتها الامطار وصحت : يا الغرقان !! فابتلعتني الارض وجذبتني الي اعماقها كما تبتلع الامواج غريقا . ثم شعرت بيد عملاقة تنتشلني . لابد انها كانت يد جدي الغرقان . ثم وجدت نفسي في قطار كهربائي سريع به غرباء صامتين ثم توقف القطار في منطقة حجارتها من المرمر فخرجت وصعدت بهذا السلم الكهربائي .

.....

.....

الاتصدق !!

.....

دار خاطري اثر سماعي كلامها الغريب تجاه حادثة من ربق الصبا ، حين كنت بالمحطة اياها بام درمان . شح وقود المدينة وقتها . فأنحدرت السيول تجاه محطة الجميع ، كعمرم في طواف ، وانتظروا كل يشكل حيرته علي ما اعتاد عليه ، من وقوف او سعي وتأفف او ثرثرة وكانت من معي تنتمي لقبيلة النساء ، الصامته ، علما بانها في بيتها ليست من ذهب ولكنها تسكت في المحطة الجامعة لانها فيما تقول جامعة .

وكننت اغيظها

تخافين ؟

وكانت تقول : الاوغاد تسللوا وسط الشعب .

- اليسوا انفسهم من ابناء الشعب ؟

لازل من ابناء الشغب. يمطروننا بالقبيح ويسدون علينا ابواب المركبات العامة كالافئال وهم نحيفون مع ذلك فتأمل؟ قلت: عليك بالابتعاد عنهم.

فأجاب: كيف وفي كل عربة من بنات اليابان بابان؟

قلت: بالدخول من خانات السائقين.

قلت: وإن وجدت سائقاً من شاكلتهم؟

قلت : فابتهدي اذن عن الاسواق.

قالت يا لك من رجعي اثم غمرت تخلفي بنظرة احبها حتي تقدم ذلك الخلف المقيم الذي يستغني عنك مقلولي.

وأنظرنا في تلك المنطقة المكتظة الشاحبة ذات التوتر. وسحابات التأوه ورجوع
الظهورات الغاشية، جاءت شاحبة مواد بترولية فاوشك المنتظرون ان ينصبوا في جوفها
الغبار، انهم لبوا في مكانهم يسبون سائقها ويسبوننها وهي تمر وسط جموعهم، وليست
لها قيمة روحية، او كانت هناك كلاب نباتية، فإن هذه الشاحبة ذات الغبار وسط هؤلاء
المنتظرين تبدو كالعظم الطازج وسط الكلاب النباتية.

أرى ظنني الحماة التي فرت من قسورة.. تلك الفاتنة التي انفلتت للتو من المترو
فانتهت أوجدها، تعجبني أسئلتها المعاتبة.

الألمانية في ١١ آذار ١٩٤٥ قبل دقيقة بام درمان وادخلت يدها خلف ثوبها الناصع في صدرها
الزاهي وأخرجت صحيفة.

هذا هو يومك اليوم الزم نفسك؟

لا صدقت .. صدقت .. اسدقت دون شواهد صدقت .

!_gubelott stut =

الغازات

في طرف عتواقي من اطراف تلك المدينة المختلطة المتناثرة العناصر ربض بص ذوكرش
فبهم فانها انقضت خصيصا لابتلاع البشر. ولعل البص خريج احدى جامعات المصانع
في اوربا. جازبه السواد ان جالب غير هباب من الضرائب، ولا غالب له في امر المال السائب.
فان النهار يقول: (هذا اذاعة ضربة الشمس والسحائي، الساعة الان الثانية عشرة).
يد التلطيقي البصبي ترمية على عجلة القيادة، واليسرى ملقاة بأعلى هامته، ولعله قصد
بكرة اليسرى في في الهامة ان يصد رغبة الراس في الانفجار.

ام ان اول الوالدين في قريش جوت يونس ذاك، اذ كانت قبلي خادم الله بسلتها، ومايفوح
في تلك السنة من طعام، لا يظفي ابن ثود ان تذهب به. وكان هناك رجل لا اعرفه، وامرأة لا
اعرفها، وانطلق هؤلاء يمشون معن يجلسون من حولى على المقاعد ولا اعرفهم. ولقد قلت في
سري (الف ف ف). وان الهواء خذلني، اذ نقلها، فسمعها الركاب فالتفتوا ناحيتي مليا، حتى
فريت منهم بالذاهرة.

قبل ذلك بقليل ساعات فقط، كان هنالك صف، قربه توجد يد طويلة ممدودة طويلة،
يحدث يدها ظل في نسب اعضاء صاحبة اليد. هل في مقدورك تصور رافعة معطوبة في
يخسوف ميساء، تلك حال اليد الممدودة.

وقان هناك رجل اصلع يطل من الشباك طوال الوقت. هو صامت، ولكن، الجميع
يخاطبونه باسمه. وقان هناك عطا. راسه آلة حاسبة، وفي جبينه عرق، وفمه جاف، كان عطا
يقف في منتصف ذلك الصف العجيب ويتمتم (٥٠ للبيت و٤ للغسال ٢٠ للكتين (٥) لخالتي
التي لم تهر عنه بنت المني وجدته الناية فشطبت الآلة مادونته واعادت الكرة من جديد
(١٢ للبيت ٢ للغسال ..) وطلت الآلة الحاسبة انها قسمت المبلغ كقسمة الفقرا للنبقة)
وانتها تذكرك الاضطرابات وصديقتها عبد المنعم مطر! (آه ياملعون ماتعرس الا في الشهر
والا)

كان عطا قليل الحسرة، شديد الحيرة والارتباك. عبد المنعم صديقه وعفاف خطيبة مطر
تذكرك ايضا، لذلك افصح لهما مساحة في سطور الآلة الحاسبة وهو يدندن:

سلام الله يامطر عليها ***** وليس عليك يامطر السلام

ويجاء عطا مشغول بمخاطرة آله الحاسبة، دخل رجل سريع الحركات ذو شارب وعينين
ثقلان، وخطي عبد القادر المتسرع ابناء آدم الموجودين بالصف مخفيا سوء ملامح وجهه
بترسامة خائفة مشفوعة بخجل باهت غير مفيد في مثل هذه الحالات. ووقف امام عطا في
الصف الممدود الجمل.

قالت الآلة الحاسبة: (العمل القبيح لا يلد الا الابتسامات المبهمة) ثم ان الآلة الحاسبة دنت من الشباك وانشغلت بأمر القبض والامضاء عليه ومراجعة القبض والامضاء عليه وما اليه.

كانت اليد الممدودة مجزومة، وفي نهايتها صحن مبسوط، ولليد جسد مرفوع، ورأس منصوبة، وللجسد ثوب مجرور، وكانت تملك تلك الاعضاء والامتعة جميعا، امرأة مستوردة جاءت زاحفة برياً من بلاد شاحبة نائية.

وكانت تلك المرأة ترفع عقيرتها بصياح كتمه البؤس والفاقة: (الله كريم. الله كريم ورحيم. لله ياممنين).

خرج عطا من الصف بفرح مؤقت، ورمى للرافعة ما افلتت من الرأس الصلعاء من (فكه) وانهمر ثناء الرافعة ليعادل عطاء عطا السخي.
(الله يجيب البركة... ماشاء الله.)

ثم: (الله ياممنين) ويدور الرحي من جديد. جرى عطا نحو اماكن كثيرة لا يريد لها في مثل هذا اليوم. وانتهى به المطاف الى تلك الحافلة اللعينة فركب ثم انفلت منه ذلك التأفف (الف ف ف) ولعله انفلت من عطا او متى لست اذكر.

انشغلنا انا وعطا برجل ذي جلباب نظيف وظللنا نراقبه، عطا يراقب حاله وانا اراقب مقاله، حتى ضاق الرجل بنا فترك مقعده غير آسف وتنحنج جاره على الفور، كأني به ينبا بقية الركاب ثم انفجر:-

(نشالين الزمن دا. نضاف زى التجار).

بقوا نص النهار عينك - عينك، اسه الزول دا النزولوا شنو؟ صمت الناس جميعا لثوان كأنهم اتفقوا على دقيقة حداد. ثم هبط الحر، فصعدت السموم، وما انفك المزيد من الركاب يتوافدون خمسه، ثمانية تسعون...

(يا ابن العم ماتدور خليلنا زى الساردين)
(دور اللخو).

قال سعد في سره (اسكت يا اقليمي.. اللخو قال!)

وكان السائق صامتا لا يرد. اصبح تمثالا من كثرة ما القى في وجهه من قول غليظ. امتلأ البص حتى بلعومه بالنتن من الروائح، وبالاطعمة والجوالات والبصاق رغم انف التحذيرات المكتوبة (ممنوع البصق) بالعريض، قرأها شبه امي وسط ذلك الجمع (ممنوع البصل) وقرأها امي تام الامية (ممنوع البص) فلم يختلص النظر الى جارته ثم عدل عن فهمها لها (آه يعنى البص دا ممنوع؟) وخرج لتوه كأنه نسي الحرف الاخير بمنزلهم.

- (ياشباب ماتحرك!)

ولكن السائق لم يتحرك اذ تأخر لدرويش يحمل ابريقا وقلبا طيبا، ورهبة، فركب، ثم ان الخليل ابن احمد خرج غاضبا من بيت شعر مكسور ودخل في تلك الحافلة اللعينة. كان الكمسارى مرفوعا من ارضية البص الى اعلى بغير رافعة سوى البطون والاكتاف، رجلاه في الهواء ونظره زائغ بحدت يبدو كخروف مذبوح (كيري) بدليل وجود الملابس عند الكمسارى والجلد عند الخروف الكيري (...). وكان ذلك الكمسارى التعيس لا يتحرك ولا يراه الركاب الذين لا يعرفون امكنة جيوبهم. اما نقودهم فحدث عنها ولا حرج. كان الكمسارى محجوبا بالزحام. ولكنه معروف مع ذلك للجميع بواسطة التكشيرة المقدرة على فكه منع من

فظهر بها اشتغال الركاب بحركة المعاتلة. صباح الخليل بن احمد:-
مركبات قاتلات فاعلات.

وعانت حالة الحافلة اشبه بحال اعماق المحيط في التداخل، والتماوج، كل مشغول بامر
نفسه، موزع بها فان العالم ينتهي لدى طرف انفه. وكان الدرويش بين كل دقيقة واخرى
يياغت الركاب:-

« (بكلي) فهد رجل مغمور من عامة الركاب:-

« (قبوم) وينفجر بقية الركاب بضحك سوداني عامر.. وفي الممشى حيث تبلغ الكثافة
الركابية ذروتها (٢٠ راكبا في المتر المربع). كان سعد يلاصق نعمات، بكت نعمات في سرها
واحد سعد سدر في غيبه، حاول ان يقول لها شيئا بالصوت الجهر ولكن خاف. فتولى الدون
توان الذي في داخله الامر اذ قال: (يا صبية مسك مس ارنب والريح ريح زرنب التصقى
التصقى) وكان بالمقابل يلتصق هو، لا هي.

وحين ادار السائق القدير، وليس امامه مفر من ان يكون غير ذلك، حين ادار المحرك
وتخطت العربيه بين افواه التماسيح، والاسنان الجائعة للمطاط، اصبح الامر كله كقفص
اوجاج جاذع في اطراف المدينة، يرعب اهله بالصياح ويرعبونه بالجوع يطالبونه بالببيض
فلا يبيض، ويطالبهم بالطعام فلا يطعمونه.

«جاءت سفينة نوح هذه بنا محطة، وحملت باخرى، فتلاطمت موجات بشرية جديدة
ادخلت، وخرجت منه موجات ضعيفات التيار. وكان من ضمن القادمين رجل يترنح. قام
ببصره، قام تقدم وقع.. عطش عطش شرب.. وجد الشارع سار.. وجد البصر ووجد
الغنى، فدخل وكان سكره معلن عنه بالحجارة التي ترعى وبالمنولوج الداخلي المتقطع (اسع
في الخاس دي هق، مزارحة فوق كم؟) وما ان استقر محمود وهذا هو اسمه، داخل البصر
ففي يده بندقية افريقية وذلك بان كور اللعاب في قمة كالكرة الصغيرة.. ثم قذف به دفعة
واحدة خارج فمه (طج) قبل ثوب خادم الله الذي يستريح حالها على علاته، وحين ماعت خادم
الله، تبع فيها فسكتت. فتصدى له مولانا ذو الصوت الجهوري والكلمات المحكرة - (يا
ابني اتق الله، اولا ما فعلته قذارة والنظافة من الايمان، ثانيا: هذه الوليه حرمة، وثالثة
الاتق الله البصاق - والعياذ بالله - خمر)

وتوقفت خادم الله على سيدها، وناولته محمودا متكئة على تشجيع الناس لها. ولكن
محمودا لم يرج فجن جنونها - كان محمود هائجا كثور اسباني وانثق من فمه كلام كاللعاب
(قاف يا ولية هق انا مليون مريسة هق وعفن قف، هو شيهك انت قف بلا المريسة والعفن
قف قف قف شوق)

قلت شوق يا راجل يا عديم الحيا؟ والله ياهو).

وقال هذا غاية ما تعرفه خادم الله من الوقاحة، اما محمود فقد وقع من السماء سبع
دراهم، وانحدر ربا كانت وقعت فارغات مثلوبات، وذلك اصيح واضحا للعيان بعد وقوف
جوزم الركاب هذه متحازين لخادم الله، ولم تدم سيطرة خادم الله على خيالات الركاب
طويلا، اذ جذبت الانتباه جلبه، ابطالها اطلال، اشجعهم يسير في مقدمة، واخوفهم يسير في
الوسط، والخائفون اصواتهم عالية. وهم جميعا يمشون مشية العساكر. ارجلهم تدق
الجرير، خيالاتهم جامحة، وشديدة الخصوبة، والنغم موحد. يزفون رجلا كالاراجون
عزيفة عذبة، ووجهه كالسعن المتيبس. وكانوا يهتفون: (قفه.. قفه.. قفه.. قفه..)

- صاح الخليل بن احمد داخل البصل -

- فعلى.. فعلى فلطمه احدهم حتى طار عجز البيت (فعجز عن مواصلة الكلام) ونزل.
كانت الزفة قد بلغت منتهاها عند بلعوم حوت يونس المنكوب، كان قفه فيما بدا للناس
منكوبا بدوره، له جسد يهتز بلا مثير للاهتزاز، مثل عنق دجاجة وله رجلان نحيفتان
ملتويتان وفم ذو تمباك، ومن شدة برمه سب امهات الاطفال نهارا جهارا حتى ضحك الركاب
ولكن اكثر الاطفال لا يعلمون.
(قفه.. قفه.. قفه.. قفه..)

كل مجموعة تناوب الاخرى وقفه وراءهم بكل وسائل الشجار السوداني بدءا بالتراب
وانتهاء بالسباب، (ياشف ف.. ع ياوولاد الـ ح ح ح ح ح ح) - (الله ومع ذلك في الامر تاتاة
ياسيد قفه.)

كركر الركاب من جديد بضحك سودانى عامر وقال له بعض الركاب: (اركب خلاص، اولاد
حرام) وارتاح قفه للمساعدة القيمة، وامسك بتلابيب الكلمة جيدا حتى لا تتبعثر منه
اصواتها في فمه التمباكي، وقذف بها في وجه الاطفال.

ثم ان السائق انتهرهم بالصوت الغليظ.. فتفرقوا مصدريين صيحات الاطفال المألوفة
لدى انتهاء اللعب، كأنهم ينبهون امهاتهم بتوجيههم نحوهن. ودخل قفه في زمرة الركاب
بان حشر نفسه مباشرة في احاديث الناس، التي لا يفهم منها سوى كلمة لا تضحك فيضحك
عندها، واخرى لا تهز فيهتز لها جسده مابين الصفا والمروة. وكان بين الفينة والاخرى يقاطع
حديث الركاب بكلمة جمعها فافلتت منه في ذم الاطفال البائسين:
- شفع ما مرب أب أب أب).

سئم الناس قفه فنسوه. سئم الركاب الخليل فانزلوه. وكان المخمور هامشيا، وكان
الدرويش مستمرا على وتيرة واحدة في قوله (الحى) فصار الركاب ينتظرونها بميكانيكية
كانتظارك نقطة ماء تقع من صنبور معطوب. وهكذا تشرق الركاب، كل يبحث عن نفسه التي
بين جنببيه، قال عطا: (كيف أكون أنا أنا؟ ثم اكون انا احزان قلبى واصفيائى واحبابى؟)
وانشغل عن سؤاله الغريب بمراقبة رجل صفوى يفكر فكر الرجل الصفوى، ثم فكر واخيرا
هداه تفكيره الى ان الشمس هي السبب في كل مايحصل في هذه المركب وفي البلد عموما وفي
العالم. ايتها الشمس اللعينة قال الرجل الصفوى لماذا هذه الحمم وهذه الغلظة؟ اما تدفئين
بلاد الانجليز التي هاجر بعض اهلها خوف البرد الذى قتل ابائهم وسكنوا بلادنا ردحا
فعمروها؟ ولكن الشمس كانت بعيدة جدا. خارج مرمى تساؤلات الرجل الصفوى جميعها،
ترى ولا ترى تسمع ولا تسمع هل تهب الحياة؟ نعم. هل تدمرها؟ ربما. فقط اذا قال النهار:-
(هنا الصيف: اذاعة غير جودة وقلة الهواء الصالح؟ فترسل الشمس اذنك شعاعا
احمر وآخر بنفسجيا وثالثا تحت الاول ورابعا فوق الثانى.

والمسبحة البشرية داخل حوت يونس تدور وتهمهم (يالطيف، يالطيف ثم يكون
السهو: رمضان المدارس. المواصلات. يالطيف. الرغيف الفحم، البصل، يالطيف) ولما كنت
 طالبا بارد الحشا فقد كان الامر الدائرة به هذه المسبحة يعنينى على تجريداته فحسب.
ولذلك كانت المسبحة تدور وانا اضحك على السذاجة حتى غفوت وانشغلت بحالى في غفوتى.

رأيت ان الاولوية جاءتني بدجاجة الذى يلقط الحب، وبديكها الذى صاح قبل طلوع
الفجر، رأيت الكتب الهاربة وبعضها منسى. وكان اكبر ما رأيت هو انتظاري في ركن من اركان
المعمورة لزائر لايجى... انتظرت السودان وفي يدى زهور برية قرب محطة مترو. كانت

المنطقة غاصة بمواطنين ينتظرون بلدانهم (فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا).

وتبدت لى فى الافق كتلة فرح سوداء، ما ان اقتربت حتى تبدل لونها الى ازرق فاتح يخلب الابصار، قلت هذا هو! يا الحسن عينيها! وخيل لى انى سمعت وقع خطواته ففرحت فرحا جما وما ان رفعت يدي فى بروفة لاهداء الزهر حتى دهمتني الدولة الثرية فجريت منها كما يجرى الناس من الطاعون ولكنها اقتفت اثرى وصاحت (تهاجر!) (قلت) لا (ثم صحت: يادينق يادينق) وقفز الصديق دينق لىجدي. وصرخ فيها: وه! (١) - فهربت لديرها تنضح بالبترول، ثم انى قلت يادينق يا... وتجولت مع دينق حذاء النيل فى ذلك الوقت الغريب فرأيت الناس يكرهون حياتهم التى يحيون، وخرجت التماسيح من النيل من شدة الحر وقسوة ودكتاتورية الضفاف. قالت الاسماك والتماسيح: هراء كيف نقضى العمر سابحين فى نهر واحد؟ فقال لها النيل: موتى اذن.

وخرجت جميع كائنات النهر تتظاهر كما خرجت البيوت والعمارات متعاطفة مع البشرى.

واهتزت الحافلة فقالت خادم الله وهى تبتسم (قول بسم الله) فقلت: فقالت: (ومالك مخلوع كدى).

ضاع منى كل خيط بعد صحتي عن امر الركاب الذين عنهم احكى. اذ ان الشمس لفحتهم لفحة وهم مسبحة تدور بما اسلفت وحين ازداد هدير البص عند منعطف ما: واطلق دخانا وعبق المكان بنشازة تلبكنا جميعا ركابا وحديدا وسائقا وكمساريا. مثل قطعة صابون تغلى فى ماء. ثم تحولنا الى كتلة ودك، هشة متماسكة وخالية من المسام. اختلط حابلنا بنابلنا وسكرياتنا بقوابلنا ورافضنا بقابلنا.

هل هزرت اليك بجذع دومة حتى تساقط ثمرها صلبا قويا؟ ثم اخذت مما تساقط ثمرة فهرزتها حتى ارتج ما بداخلها؟ ذلك حالنا فى تلك الحافلة فى ذلك النهار ذى الموجات الاذاعية الحارقة الطويلة كتلة واحدة مجبراء ومتلبكة. لا لسنا العجوة ولا الساردين كما يظن هؤلاء - ولكننا ابناء الكوارث والصبر غير الطيب فمن يحولنا من؟ من يحبل فسيفسنا بطيخا؟

قال الدرويش (الحى).

وقال الجميع (قيوم).

ولم يضحك احد هذه المرة.

اصبح السائق اى قطعة الشحم فى اول الكتلة الودكية يقف فى كل محطة فتدخل امواج متلاطمة من البشر، كل موجة تلاطم موجة وما ان يستقر من ركب فى وسط الودك حتى تسرى فيه الحرارة بدوره فيتلبك. اما من ناحية الباب الامامى فلا احد ينزل. حاول قاسم الشرطى ان ينزل وكنت جاره قبل ان نتلبك، فوققت اعضاؤه بعضها فوق بعض، تساقطت عيناه وحاجباه وانفه وفمه ثم تفككت مفاصله وانفصلت عن جسده بفعل الحرارة واختلعت اعضاؤه وتباعيضه باجزائنا وتباعيضنا وهكذا اصبحت الكتلة جسدا واحدا مهموما وساخرنا وذات مصير مشترك، اصبحت الركاب للراكب كالبنيان يشد بعضه بعضا اذا تحرك منه عضو تأملت سائر اعضاء البقية بالتعب والمجادة.

مر احد بغاث البرجوازية فى محطة ذات ازعاج بمركب نوح التى نركبها، وكان قبل ساعة من مروره يخطب ويخطب حتى ادركه النعاس فنزل من صهوة عبارة مستهلكة مضغها خمس مرات وصفق له جمهور من دهاقنته عشر مرات وكان بعض التصفيق للتحية والمجاملة وبعضه الاخر للمجاملة الصرفة. مر ذلك العالم العلامة الاربى المناضل حتى آخر

السكباج .. بالقرب من سفينتنا ومد انفه فاشتتم رائحة حيواناتها ومتاعها وبشرها ثم حمد الله ان لديه عربة تقيه من شر حاسد اذا حسد .

ثم ان سائقنا انحرف عن الشارع يمينا ليتفادى طائشا آخر فمالت سفينتنا حتى ضجت الكتلة الودكية كأنها تبكي عزيز قوم . وتسمع لفظ المحافظة المحافظة المحافظة .. يتردد كالفاتحة في ماتم ذلك العزيز وسخط بعض الودك من قطعة الودك التي كانت في المقدمة واوشكت هذه ان تقول (انا ودكاية مثلكم ولست سائقا) .

ولكن السائق الذي كانته ارتاح على مخدة ذكريات ايامه الغواير حين كان يعمل بالجزيرة ايام شبابه ، كان يقود شاحنة تجارية يرقد في بطنها بدلا من البضائع ركاب سعداء ، افواههم فاتحة على مصاريعها واسنانهم صفراء لونها الجهل والبؤس .. وتعلموا فتح الافواه بالوراثة من ابائهم الاولين ، بعضهم مريض والبعض الآخر مريض ايضا . ولكنهم قنوعون بحياتهم ومتألقون ودودون وكرماء . كانت الشاحنة قد تعودت ان تغير في سهول الجزيرة وان تدخل من ققام في ققام ، وكان السائق في زهو العرسان ، يشعر بأنه ملك هذا الحديد ومسخره كان داؤد النبي جده ، وكان اطفال كل القرية يعرفون الشاحنة من صوتها ، ان ما ان يدلف بها السائق في فم فناء القرية حتي يحيطها الاطفال وهم باسمالهم وذبابهم وبطونهم المنتفخة مرضا وفراغا .

تم ينسق السائق من انغام البوق ميلودية محببة لجميع الاطفال ويغنيها حتى تسمع القرية كلها صوت (البورى) موسيقى صاخبة ، يقول البوق :-

(سيد اللبن جا يا نفيسة)

ويرد الاطفال :-

(طالبنى قرسين فى المريسة)

ويغنى البوق :-

(سيد اللبن جا انا مالى)

ويرد الاطفال :-

(طالبنى قرشين فى التسالى)

ثم تخرج الشاحنة من فناء القرية فيشيعها الاطفال بالحجارة ويلف ركبها الغبار ذلك جزاء سنمار ويصيح صائح اشعث :-

- (شفع مطلوقين) ولكن السائق سعيد والاطفال اسعد . ذلك زمن (حليل زمن الصبا) اما الان فهو يبدو من خلال كابينة قيادته كالنمر الحبيس بحدائق الحيوان وحتى الاطفال يهزمون به وهو لايتحرك ببنت مقلب ولا ناب . وهاهو الان يتحول بدوره مثل ركاب الشؤم الى ودك قابل للانزلاق والتلاشى .

سكت السائق من تأملاته فسكتت عنه . وجرف سفينة نوح لقلب الشارع ثم جرى بها جرى حرائر الابل واوصلها لسدرة المنتهى من المحطات وهناك لفح الهواء الساخن كتلة الودك الصلبة فتحول الركاب لسوء الاحوال الجوية والنفسية من حالة الصلابة للحالة الغازية دون المرور بحالة السيولة فتبخرنا من الشبابيك والابواب غازات سودانية ملونة

الكمسارى ساعة ان راي نفسه سحابة دخان حاول ان يزل علقه، حذر ان يقع حتى لا تشتبك اعضاءه الاساسية ضد الخادوية، وبما انه مغرب قصير القامة، فقد وجد نفسه في الهواء لحظة ان وضع رجله في درج السلم، اصبح راسه مكان رجله، ووقع على الارض، وهناك مرت عليه نسمة باردة فرجع ابن آدم مما كان قبل رهوبة البص بيد ان جسمه روى عن نفسه فيما بعد (قالهجرة الجرباء افردها القطيع) مثل السلحفاة التي قد دخل راسها في قدحها خوف الخطر، راسه داخل صدره وصدره داخل بطنه ورجلاه كرجل ضفدعة، (شئ عجيب) قال عبد المنعم ابونا آدم سلم ارواحنا لهابيل وهابيل سلمها لادريس وادريس لنوح... كل نبي يضيف من حسنه لحسن الجيل الذي يليه كايرواح مايكون الاحتمال و - الديالكتيك - حتى اكتمل الانسان فكيف لحوت يونس هذا يعجبنا كما عن له (لايستحيل) قال عبد المنعم ثم اشعل غازه الذي كانه، نارا واشتعل في الهواء وتلاشى.

اما انا فزلت وبى حذر اكبر من حذر غيرى، كنت طويل القامة وحين لامست قدماى الارض دخانا اسود، حمدت الله وقلت ستمر نسمة وساجمد على احسن حال. وساكون وسيما. وما ان ذكرت امر الوسامة هذا حتى قررت ان اجرى بعض التصليحات الطفيفة لاكون وسيما اكثر مما كنت. وتذكرت ان فكى الاسفل به طول فهششت بعض الدخان الموجود مكانه ثم جعلت وجهى مستديرا وفلتت عضلاتى وعدلت هيئتى لا كما كانت ولكن كما كنت اتمنى من الحسن والبهاء. وقبعت في انتظار النسمة الباردة ولكنها لم تهب. قال المغنى (كيف العمل؟) (قلت اتدرج خطوة خطوة في اتجاه النسائم الباردة لئلا تختلط تباعضى مرة اخرى. وما ان خطوت خطوة حتى وقعت في حفرة مجارى ومكثت هناك ردحا من الزمان وعندما خرجت منها كنت رطبا باردا. عنقى به التواء وانفى افطس وعينى توشك ان تهرب من وجهى. جريت قبالة مرآة في مكان عام فما رايت حيوانا ابشع منى. قلت هل هذه بلد؟ اذا ركب الواحد مواصلاتها كان عليه ان يصير قردا وخنزيرا اذا نزل؟؟ وفجأة اصبح الجمهور في الشارع ينادينى باسم غريب على (بخيت... بخيت... بخيت! وناولنى بعض الاطفال التسالى وهم يضحكون وتحسست جسمى فلم اجد ذيلا.

محمود المخمور كان يدخن ساعة تلبك وحزة ان صار دخانا اختلط دخان سجائره بدخان جسده وهبت سموم فلفحته الى مخزن فتلقفه صاحب المخزن وعبأه في علب بنسون صنعت خصيصا للسودان وللدخان.

خادم الله جار النبى جرت من هول مارأت (دخانية) سوداء ورست بمبخرة في مطعم قدر وهشت ذباب ذلك المطعم حتى طردته ولكن بعضه تساقط في اطباق الزبائن. انتقم الذباب من الدخان الذى اصبحت خادم الله فاستنشقه ومات عملا بالقول الماثور (على وعلى اعدائى يارب) وحين هبت نسمة باردة لارجاع خادم الله، بنت حواء التي كانت، لم تجد تلك النسمة منها سوى ثوبها الخرق.

نعمات ذات العينين خرجت دخانية بيضاء وتمخطرت كبنت فرعون فاشتبك بها دخان سعد وتخللها فصرخت حتى فض بعض الدخان الواقف مجاورا نزاعهما ولكن نعمات التعيسة مرت بقرب (كوشة) فتحرش بها دخان (الكوشة) وغازلها واشتبك بها والتف وامتزج بها فلوثها فحبلت وولدت دخانا تشمئز منه النفوس.

قال دخان الدرويش (مدد) فهتف به هاتف ان اصعد، فصعد تحرسه العناية حتى فنى في حب المعبود.

خرج دخان السائق محتارا فوجد سحابة صيف فامتطاها بلا جواز سفر فعدت به وهاجر. (حليمة المضمخة بالعطر الزائد عن الحد وجدت نفسها بجوار دلعة وصندلية وطلح في دكان صغير).

سارت خمس شابات جامعيات هن (عفاف وعلوية وعواطف وهدى وليلي) سرن خمس (دخانيات) احدهن صفراء والاخرى خضراء والثالثة سمراء والرابعة لون زينب

والخامسة خاطفه لونين . قالت علوية - (الحمد لله البقينا سودانيات ، اسه كان خواجيات
ماكننا عرفنا راسينا من قعرنا) .

سرن جميلات رشيقات انيقات يتاففن من ملاصقة الهواء النقي للدخان الذى كنه فالتف
بهن اعصار ذو غبار فسحب منهن (الكروت الرابعة) وحين هبت نسمة باردة بعد ذلك
تحولن الى سعالى .

(قالت السعلة للسعلة :- (يلاك نخلط) .

وذهبن ماعدا عفاف .

كان المقهى الجامعى يغض بجماعات متوحشة تخفى تحت ثيابها هراوات غليظة وما ان
وصلت السعالى حتى هوت الهراوات على رؤسهن مشفوعة بكافة التعاويذ من الشياطين
والسفلة) .

ذلك السفين النوحى تفرق ايدى سبأ . كل دخان من الركاب مضى لحتف او نجاة ، هجرة ،
او عصا ، عليه او احشاء ذبابة .

كان سعد يهوى العلاء لذلك صعد فى هامة مدخنة لمصنع بالمنطقة الصناعية ثم احتار لان
النسمة الباردة هناك لا تمر . واصبح اسير المدخنة كلما هم بالنزول اندفعت من فوهة المدخنة
جماعات من الدخان الساخن فاختلطت به وسخرت من حاله .

وقبع فى علاه الوحيش الى ان جاءه الفرج يوما حين انقطع التيار الكهربائى عن المصنع
وتوقفت الماكينات ووقعت (دخانية) سعد خلال فوهة المدخنة الى اسفل سافلين وارتطمت
بالبلاط ثم صار صاحبها مسخا ثم تحول الى ضفدعة تعيسة رآها فى حينها عامل برم بما
يكسب فصاح فيها بصوت مسيلمة (ياضفدعة بنت ضفدعين ، علام تنقين ، لا الماء تكدرين
ولا الشارب تمنعين (كذب مسيلمة ولم يكذب العامل اذ سجلها ثم داس عليها بنعل غليظ
فماتت مانسوبا على الانسان الكامن فيها .

اما قاسم الشرطى فقد تدرج من سلم البص وانزلق على الاسفلت وتدرج ثم تدرج
زمننا ليس بالقصير وعندما هبت النسمة الباردة جمد الدخان الذى كانه الرجل الى قنبلة
مسيلة للدموع . دخان فى حالة كمون مسكون بالضغينة وسوء النية .

حط دخان عطا بمستشفى الامراض العصبية . حوله المصابون بالذهان والانفصام
والهستيريا . جاء اخوه وجاءت امه من اقصى الصعيد . قالت امه :- (تذهب للشيوخ صايم
ديمة (قال عطا) (لا) .

قال اخوه (لا) .

كان عطا ذاهلا عنقه كعنق دجاجة مريضة ولسانه كالمعقود .

كانت امه ترى حال ابنها فتمرض تدريجيا وكان الطبيب اذ يزور ابنها يرمقها بنظرة تنم
عن شكه فى حالتها كما شك الملاك عزرائيل حين تبدى بمجلس سليمان عليه السلام فى مواطن
وجده بالمجلس ومطلوب قبض روحه فى الصين الى آخر القصة .

كان عطا يسمع ويرى بعد ان عاد ابن حواء كما كان . ولكن قلبه مافتىء يحاول الخروج
من القفص الصدرى .

كان قلب عطا يطرق باب القفص الصدرى عسى ان يخرج :-

- (دق) .

فيقول له عطا (مالك) .

فيقول القلب (دق ... دق) .

فيرد عطا (ممنوع) .

(دقق . دق) .

- كلا

(دقق دق دق) .

خاف عطا وجن جنوبه وهكذا أصبح وجوده مشروعا في ذلك المستشفى.
وذات مساء سمع عطا نشرة محلية تعنى بشؤون الموتى والمفقودين (خرجت ولم تعد حتى الآن: خادم الله جار النبي، اوصافها كالاتي: خرج ولم يعد حتى مطلع الفجر سعد عوض، خرج عبد المنعم، خرجت نعمات، خرج الخوارج، دخل الدواخل.
قفز عطا من سريره عاريا فتبعته امه وتبعه اخوه هلعان (ارجع!) جرى عطا وقفز فوق السور العالي ثم قفز تجاه الشارع وصاح: وجدتها وجدتها (جرى وراءه رهط من الغرباء والمرضى).

قال عطا (يا عالم وجدتها... وجدتها).

قال غريب (وجدت ماذا؟)

قال عطا (وجدت الغازات السودانية) عثرت علي اصلها وفصلها. وجدت سر اختفاء المفقودين سر خادم الله بت جار النبي).

وهز الجميع رؤوسهم اسفا. ثم دلف خمسة غرباء وممرض تجاه منتصف الدائرة حيث عطا، وامسكوا بعطا زائغ البصر.

رأت المشهد امرأة عجوز فضحكت وبرزت سنيناتها حتى غضبت منها ام عطا. وقال عطا في سره.

وتضحك منى شيخخة عبشمية

كان لم تر قبلي اسيرا يمانيا

استسلم عطا لدموعه حين رأى عيني امه الحزينة صاح فيها مشفقا (كيف يجرى نيلك).

كانت ام عطا من شاكلات الطير صبت في دجي بلعومه حين كان يافعا، لون الصباح، وكان ابو عطا نهرا مرهوب الدواحل وله صلب بهيون، عديلون، عنيفون، انثمائيون، من جنس الرياح وهاهو الان حطام شاب تمرده في لسانه فحسب. قال عطا: (يا للبشاعة (فلطمه رجل يتضايق من الكلمات وصاح فيه: (اخرس).

ولكن عطا انهمر وهطل مطرا من الكلمات العنيفة. فصفعه الرجل حتى سكت عطا ولكن الرجل الغريب تمادى في لطمه وركله وصفعه، لطمه ولطمه حتى وقعت من فكه سن مدمومة فأشار لسنه المخلوعة على الارض وصرخ: (اتركني! وقع القمر.. وقع القمر).

ولكن الرجل الغريب ماتركه وقعت الام من هول ما رأت على الارض، بلا حراك وصرخ شقيقه وبعض السابلة بالصوت الجهير (لا) ولكن الرجل الغريب ماترك عطا. ضربه ضرب غرائب الاغنام.

وهنا جاء الطوفان:-

قال قلب عطا:-

دقق. دق. دق).

فقال عطا:-

(مممكن)

قال قلبه:-

دقق. دق)

قال عطا:-

نعم)

قال القلب:-

(دق. دق)

قال عطا:-

(اخرج)



قال القلب :-
(دق) ثم خرج .

سكنت الحركة ذلك المساء . لا الشارع رأى عربة . ولا العربات رأت زحاما نام الناس قبل الكلاب . والقطط نامت قبل الفئران . تمدد النيل من الشاطئ للشاطئ ومد يديه فوق شبح المدينة النائمة وتثائب - عطف الحزن على الأزقة والحارات فغسلته الدموع .
في ذلك اليوم بكت السحب فوق طلل تلك المدينة بكاء الاطفال ، ومع ذلك فان سائل الحياة وماءها جرى . وفوق ذلك فان النيل ينيل ، ويرهد الرهد ، ويدندر الدندر ويجيش القاش والعطبراوى يعطبر فهل من عاصم من التيارات ومن ملجم لهديرها؟ هيهات .

عبارة (والعطبراوى يعطبر) اضافها الاستاذ علي الملك، (ويجيش القاش) اضافها الاستاذ محمد احمد محمود كما اضاف الاستاذ ابوبكر الامين كثيرا الي صور ولغة هذه القصة وغيرها.

الفهرست

| | |
|----|--------------------------------------|
| ٧ | إهداء |
| ٩ | مقدمات |
| ١٥ | حملة عبدالقيوم الانتقامية |
| ١٩ | ذيل هاهينا مخزن احزان |
| ٢٧ | بقرة في زمن الثوب البهيج |
| ٢٥ | كرسى يتناثر |
| ٢٧ | الطفابيع |
| ٥١ | الصواريخ |
| ٥٥ | النفس الاخير |
| ٥٧ | هاء السكت |
| ٥١ | مقاطع قصصية |
| ٥٧ | حكاية البنت التي طارت عصافيرها |
| ٦٥ | حمامة فرت من قسورة |
| ٦٩ | الغازات |

نسخة معالجة
وصفحات فردية



● واد باراي (شرق مدينة الدبة) بالشمالية في عام ١٩٥٢ .
- تعيد ، أسرته بالجزيرة (قرية ود البر)
- تلقى تعليمه الابتدائي بمدرسة ود رحمة بالجزيرة
- والابوسط بمدرسة المدينة هوب
- والثانوي بمدرسة حنتوب الثانوية
- والجامعي بجامعة الخرطوم كلية الآداب
- والدراسات فوق الجامعية بجامعة ليننغراد بالاتحاد السوفيتي ومعه
- وتمكن من اللغة الروسية موسكو .
- بعض بدمية اللغة الروسية .. كلية الآداب جامعة الخرطوم .

www.ibtesama.com/vb
منتديات مجلة الابتسامه

روائع مجلة
الابتسامة
من الكتب
المعالجة
والصفحات الفردية